الكتـاب الثامن

الفصل الأول

1- لقـد نظـرت في القبائـل البربريـة الأوروبيـة كلّهـا وصـولاً إلى تانـايس، وشـطر صغير مـن اليونـان: مقـدونيا، وكنـت قـد بـدأت وصفـي مـن الأجـزاء الغربيـة لأوروبـا بـين البحر الداخلي والبحر الخارجي. وسوف أقدم الآن وصفاً لجغرافيا ما تبقى من اليونان. وكـان هـوميروس أوّل مـن تنـاول هـذه المسـألة، ثـمّ تبعـه آخـرون كـثيرون؛ وقـد كتـب بعضهم أبحاثاً خاصة تحت عنوان «الموانئ» أو «البيريبلوس»(*)، أو «وصف عام للأرض»[1] وسوى ذلك مما شابه؛ وقد تضمنت هذه الأبحاث وصفاً لليونان أيضاً. وعرض آخرون طبغرافيا القارّات في أجزاء خاصة من أعمالهم الشاملة في علم التاريخ، كما فعل إيثور وبوليبيوس مثلاً. وثمّة فريق ثالث ضمّن مؤلّفاته في الفيزياء والرياضيات شيئاً ما عن هذه المادّة، كما فعل بوسيدونيوس وهيبارخ على سبيل المثال. وإذا كان الحكم على ما أخبر به الآخرون سهلاً، فإن المعلومات التي ساقها هوميروس تتطلب معالجة نقدية، لأنه يتحدّث كشاعر، لا عن الواقع الراهن للأشياء، إنّما عمّا كانت الحال عليه في الزمن القديم، وأكثر هذا مخفي في ظلمات القرون. وفي الأحوال كلّها يجب علي أن أبدأ بحثي بحسب الإمكان، من النقطة التي كنت قد توقفت عندها. وكان وصفي توقف في الغرب والشمال عند القبائل الإبيرية والإيلليرية، وفي الشرق عند القبائل المقدونية وصولاً حتّى بزنطا. وبعد الإبيروتيين والإيلليريين تأتي القبائل الإغريقية الأخرى: الأكارنانيون، والإيثوليون، واللوكريون الاوزوليون؛ وغير بعيد عن هؤلاء يقطن الثوكيون والبيوتيون؛ وقبالتهم على الجانب الآخر من المضيق تقع البيلوبونيز التي تشمل مضيق كورينثوس الواقع في الفجوة الفاصلة، وهي لا تمنحه شكله فقط، بل تأخذ

---

* periploi = أبحاث في وصف السواحل.- ح. إ.

obeikandi.com

شكلها منه أيضاً. ويأتي وراء مقدونيا التساليون (وتمتدّ حدودهم حتّى الماليين) ومناطق باقي القبائل خارج إيستم، كما مناطق القبائل في داخله أيضاً.

2- لقد كان في اليونان كثير من القبائل؛ فقد كان هناك من القبائل التي تنتمي إلى أقدم الأزمنة، بقدر ما نعرف الآن من لهجات إغريقية. ومع أن اللهجات بحد ذاتها أربع، إلا إننا نستطيع القول، إن اللهجة الإيونية متطابقة مع اللهجة الأتيكية القديمة (لأن سكّان أتيكا الأوائل كانوا يدعون إيوليين؛ ومنهم خرج الإيونيون الذين استوطنوا في آسيا وكانوا يتكلّمون اللغة التي تسمى الآن إيونية)؛ واللهجة الدورية متطابقة مع اللهجة الإيولية، لأنّ كلّ الإغريق الذين كانوا يعيشون خارج إيستم، ما عدا الأثينيين، والميغاريين، والدوريين الذين يعيشون عند بارناس، لا يزالون حتّى اليوم يدعون إيوليين؛ ومن الطبيعي أن نفترض أن الدوريين أيضاً مع قلة أعدادهم، وعيشهم في بلاد قاسية، وعدم تواصلهم مع الآخرين، كانوا قد غيروا قبل ذلك لغتهم وعاداتهم الأخرى، وأنهم ما عادوا كما في الماضي ينتمون إلى القبيلة عينها. وهذا ما حصل للأثينيين أيضاً: لقد عاشوا في بلاد شحيحة قاسية، وهذا ما جنبها السلب والنهب، كما يقول ثوكيديدس[2]؛ وعد الأثينيون سكّانها الأصليين، والمالكين دائماً للبلاد عينها، لأنّ أحداً لم يطردهم منها، بل لم يسع أي كان إلى امتلاكها. وربّما تكون هذه الحال، بغض النظر عن قلة أعدادهم، هي السبب في عدم تشابه لغتهم وعاداتهم مع لغة الإغريق الآخرين وعاداتهم. ومن جهة أخرى كان العنصر الإيولي غالباً في المناطق الواقعة بعد إيستم، إلى حدّ جعل سكّان هذا الجانب منه إيوليين أيضاً؛ ولكنّ الإيوليين تخالطوا مع القبائل الأخرى بعد ذلك؛ أولاً، لأنّ الإيونيين من أتيكا استولوا على إيغيالوس، وثانياً، لأنّ الهيراقليين ردّوا معهم الدوريين من حيث أتوا، وقد أسّس هؤلاء مدينة ميغارا وكثيراً من مدن البيلوبونيز الأخرى. ومع ذلك سرعان ما طرد الآخيون الإيونيين، وكان هؤلاء الآخيون واحداً من أقوام قبيلة الإيوليين؛ وعلى هذا النحو لم يبق في البيلوبونيز سوى قبيلتين: قبيلة الإيوليين وقبيلة الدوريين. ولذلك فإن كلّ القبائل التي كان تواصلها مع الدوريين أقل، كما حصل للأركاديين والإيليين (كان الأركاديون قبائل جبلية بالكامل ولم يشاركوا في تقاسم الأراضي[3]، وعد الإيلييون مكرّسين لزيوس الأوليمبيي، لذلك عاش هؤلاء بسلام زمناً طويلاً، خاصة أنهم كانوا ينتمون إلى القبيلة الايولية واستقبلوا القوات التي كانت عائدة مع أوكسيل[4] لدى عودة الهيراقليين)، الذين كانوا يتحدّثون اللهجة الإيولية، بينما كان البيلوبونيزيون الآخرون يستخدمون لهجة ما خليطاً من هاتين، فريق خليط إيوليته أكبر، وفريق درجة إيوليته أقل. وحتّى يومنا هذا لا يزال سكّان كلّ مدينة يتحدّثون

لهجات مختلفة، مع أنه وبسبب غلبة الدوريين، يرون أن جميعهم يتحدّث الدورية. وعليه، تلك كانت قبائل الإغريق، وذلك كان توزّعها الإثنوغرافي في بخطوطه العامّة. وسوف ننظر فيها الآن بالتفصيل، وبالترتيب.

3- وهكذا يقول إيثور، إن أكارنانيا هي بداية اليونان في الغرب، لأنّ هذه البلاد، هي على حدّ قوله أوّل من يجاور القبائل الإبيرية. ولكن على النحو الذي يستخدم فيه إيثور ساحل أكارنانيا علامة ويبدأ من هناك (لأنه يسترشد بموقع البحر في وصفه للأماكن، وإلا لكان بإمكانه أن يتصوّر بداية اليونان المناطق المحاذية لمقدونيا وتساليا)، كذلك نحن ينبغي علينا بما يتماشى والخاصيات الطبيعية للأماكن، أن نجعل من البحر رائداً لنا. وينبثق هذا البحر من البحر الصقلي وينبسط حتّى خليج كورينثوس من جهة، ويشكّل من جهة أخرى شبه جزيرة البيلوبونيز الكبيرة التي يسيّجها برزخ ضيّق. وعلى هذا النحو تتكوّن اليونان من شطرين كبيرين من اليابسة: شطر على هذا الجانب من إيستم، وشطر على الجانب الآخر منه، وينبسط هذا الشطر الأخير عبر بيلا[5] حتّى مصبّ بينييوس (وهذا الشطر الأخير هو الشطر التسالي من اليونان)[6]؛ والشطر الذي على هذا الجانب من إيستم أكبر وأكثر تفوّقاً. وربّما أمكننا القول، إن البيلوبونيز هي أكروبوليس هلادا[7]؛ لأنه إضافة إلى مجد القبائل التي تسكن هناك وجبروتها، فإن طبغرافيا اليونان نفسها تعجّ بالخلجان، والرؤوس البحرية، وأشباه الجزر الكبيرة (وهو ما له أهمية خاصة)، التي تلي واحدتها الأخرى مباشرة؛ وهذا ما يحيلنا إلى فكرة تفوّق موقع اليونان. والبيلوبونيز هي الأولى بين أشباه الجزر، يسيّجها برزخ عرضه 40 مرحلة. وشبه الجزيرة الثانية تطوق شبه الجزيرة الأولى؛ ويمتدّ برزخها عرضاً من باغي في ميغاريدا حتّى نيسيا، محطة الميغاريين الشراعية، مسافة 120 مرحلة من البحر إلى البحر. وتطوق شبه الجزيرة الثالثة شبه الجزيرة الثانية؛ ويمتدّ برزخها عرضاً من منخفض الخليج الكريسي حتّى ثرموبل، ويبلغ طول الخطّ الوهمي المستقيم الذي ينصّف في داخل شبه الجزيرة كلّ بيوتيا ويقطع ثوكيدا ومنطقة الإبيبكنيميديين[8] بخطّ منحرف، يبلغ طوله 508 مراحل. وشبه الجزيرة الرابعة، هي التي يمتدّ برزخها من الخليج الأمبراكي عبر إيتا وتراخينيا إلى خليج ماليوس وثرموبل، وهو برزخ [عرضه] حوالي 800 مرحلة. بيد أن هناك برزخاً آخر عرضه أكثر من 1000 مرحلة، وهو يمتدّ من الخليج الأمبراكي هذا نفسه، عبر منطقة التساليين ومنطقة المقدونيين إلى منخفض خليج ثيرمييوس. وعلى هذا النحو فإن هذا التتالي في مواقع أشباه الجزر يوحي لنا بنظام ما يناسب العرض الذي نزمع تقديمه؛ وعليّ أن أبدأ عرضي هذا من شبه الجزيرة الأصغر، لكنّها الأشهر بين الأخريات.

الفصل الثاني

1- تشبه شبه جزيرة البيلوبونيز من حيث الشكل[1]، ورقة شجرة الدلب، طولها وعرضها متقاربان: حوالي 1400 مرحلة. ويحسب طولها من الغرب إلى الشرق، أي من هيلوناتوس عبر أوليمبيا ومنطقة ميغالوبوليس إلى إيستم، أمّا عرضها فيحسب من الجنوب إلى الشمال، أي من ماليا عبر أركاديا إلى إيجيوس. وتشكّل دائرة محيطها، إذا استبعدنا منحنيات الخلجان، 4000 مرحلة بحسب بوليبيوس، مع أن أرتيميدور يضيف إلى هذا الرقم 400 مرحلة أخرى، ولكن إذا أخذنا منحنيات الخلجان بعين الحسبان فإن هذا الرقم يتجاوز 5600 مرحلة. ويبلغ عرض إيستم عند «ديوكلس»[2]، حيث يجرون السفن جراً من بحر إلى بحر، كما كنت قد قلت[3]، 40 مرحلة.

2- يشغل الإيليون والميسينيون الشطر الغربي من هذه الشبه الجزيرة، وهي المناطق التي يشاطئها البحر الصقلي. وهي تشمل إضافة إلى ذلك جزءاً من الساحل بالاتجاهين، لأنّ إيليدا تلتفت نحو الشمال ونحو بداية خليج كورينثوس حتّى رأس أراكس (التي تقع قبالتها عبر المضيق أكرانانيا والجزر الواقعة أمامها: زاكينثوس، وكيثالينا، وإيثاكا، وإيخينادا التي ينتمي إليها دوليخوس أيضاً)، بينما الشطر الأكبر من ميسينا مفتوح نحو الجنوب والبحر الليبي حتّى ما يدعى ثيريدس[4] على مقربة من تينار. وعلى مقربة مباشرة من إيليدا تقطن قبيلة الآخيين التي تتّجه منطقتهم نحو الشمال، وتتبسط على طول خليج كورينثوس لتنتهي عند سيكيونيا. ثمّ سيكيون وكورينثوس؛ وتمتدّ حدود هذه الأخيرة حتّى إيستم. وتأتي بعد ميسينا لاكونيكا وأرغوليدا؛ وتقترب هذه الأخيرة بدورها من إيستم. وخلجان هذا الساحل هي: خليج ميسينا، وخليج لاكونيا، وخليج أرغوليدا، وخليج هيرميونيا، وخليج سارونيا الذي يسميه بعضهم خليج سالامين. وتملأ مياه البحر الليبي الخليجين الأولين من هذه الخلجان، بينما تملأ الأخرى منها مياه البحر الكريتي والبحر الميرتوي. ولكنّ بعضهم يدعو خليج سارونيا «مضيقاً» أو «بحراً». وتقع أركاديا في داخل شبه الجزيرة، وهي مجاورة لمناطق القبائل الأخرى كلّها.

3- ويبدأ خليج كورينثوس من إحدى جهتيه من مصبّ إيفنوس (مع أن بعضهم يقول، إنه يبدأ من مصبّ أخيلوي، وهو النهر الذي يفصل بين الأكارنانيين والإيثوليين)، ويبدأ من الجهة الأخرى، من أراكس؛ لأنّ شاطئي الخليج هنا يقترب أحدهما من الآخر لأوّل مرّة، ولمسافة قصيرة، ومن ثمّ يقتربان رويداً رويداً حتّى يلتقيا[5] تقريباً عند ريون، وأنتيريون، حيث يشكّلان هنا مضيقاً يقارب عرضه 5 مرحل. وريون

هـذه، هـي للآخـيين، وهـي رأس منبسـطة فيهـا تجويـف علـى شـكل منجـل (وهـي فعـلاً تسمى دريبان)[6]. وتقع هـذه الـرأس البحرية بين مدينة باترا ومدينة إيجيوس؛ ويقوم عليهـا معبـد لبوسـيدون. أمّـا أنتيريـون فهـي تقـع علـى الحـدود بـين إيثوليـا ولوكريـدس، وهـم يـدعونها ريـون المولـيكرية. ومـن هنـا يتباعـد الخـطّ السـاحلي علـى الجـانبين مـن جديـد تباعداً كبيراً، وإذ يبلغ الخليـج الكريسـي ينتهـي، حيـث تغلقـه الحـدود الغربيـة لبيوتيـا وميغاريدا. ويبلغ امتداد محيط خليج كورينثوس من إيفنوس إلى أراكس 2230 مرحلة، وإذا حسبته من أخيلوي فإنه يزيد مـا يقـارب 100 مرحلـة علـى ذلـك. ولكـنّ السـاحل مـن أخيلوي إلى إيفنوس يشغله الأكارنانيون، وبعد ذلك إلى أنتيريون يشغله الإيثوليـون؛ ومـا تبقـى مـن السـاحل حتّـى إيسـتم، يملكـه (اللوكريـون)[7]، والثوكيـون، والبيوتيـون، وميغاريـدا، ويبلـغ امتـداده 1118 مرحلـة. ويـدعى البحـر مـن أنتيريـون إلى إيسـتم بـالبحر الألكيـوني، وهـو يشـكّل جـزءاً مـن الخلـيج الكريسـي. أمّـا المسـافة مـن إيسـتم إلى أراكس فهي 1030 مرحلة.

ذلكم هو بملامحه العامّة موقع البيلوبونير وأبعادها والمناطق الواقعة قبالتها حتّى منخفض الخليج؛ وتلكم هي خاصيات الخليج الواقع بين شطري القارّة هذين. وهـا نحـن نصف الآن بالتفصيل كلّ جزء على حدة بدءاً من إيليدا.

الفصل الثالث

1- في وقتنـا هـذا يـدعى كـلّ السـاحل الواقـع بـين منـاطق الآخـيين والميسـينيين، والـذي يمتـدّ في داخـل الـبلاد إلى منـاطق الأركـاديين عنـد جبـل ثولويـا وعنـد الآزانـيين والباراسيين، هذا كلّه يدعى اليوم إيليدا، ولكنّ هذه البلاد كانت تنقسم في الأزمنـة القديمة إلى أجزاء كثيرة، ثمّ انقسمت فيما بعد إلى شطرين: أحدهما للإيبيين، والآخـر تحت حكم نسطور ابن نيلييوس؛ ويقول هوميروس إذ يدعو بلاد الإيبيين إيليدا:

[والسفينة] عبرت من الخلف في منطقة الإيبيين
المقدّسة، إيليدا؛

(*الأوذيسا* XV، 298)

والبلاد التي يحكمها نسطور أي بيلوس، وعبرها يجري ألثييوس:

الذي تجري مياهه شاسعة عبر أرض بيلوس.

(*الإلياذا* XV، 545)

ولا ريب أن هوميروس يعرف مدينة بيلوس:

تلك التي بلغوها أحياناً حتّى مدينة نيلييوس

في بيلوس المنعمة؛

(*الأوزيسا* III، 4)

ولكنّ ألثييوس لا يجري عبر المدينة ولا على مقربة منها؛ فهناك نهر آخر يجري على مقربة، بعضهم يدعوه باميس، وبعضهم الآخر يدعوه أماثون (ومن هنا جاءت صفة بيلوس، emathoeis)[1]، ولكنّ ألثييوس يجري عبر أراضي بيلوس.

2- لم تكن مدينة إيليدا الحالية موجودة في زمن هوميروس؛ فقد كان سكّان البلاد يعيشون في قرى. أمّا البلاد فقد كانت تدعى كيلي إيليدا[2] وفق ظرف طارئ، لأنّ شطرها الأكبر والأفضل عبارة عن «منخفض». وفي زمن متأخر إلى حدّ ما، ولكن بعد الحروب الفارسية، تجمّع السكّان بعضهم مع بعض من مختلف المشاعات وأقاموا في مدينة إيليدا الحالية. وعلى الأرجح أن مناطق البيلوبونيز الأخرى التي ورد ذكرها عند هوميروس، ما خلا بعض الاستثناءات القليلة، لا يدعوها مدناً، بل مناطق، وكل منطقة تحتوي على كثير من المشاعات التي تشكّلت منها فيما بعد عن طريق العيش معاً، المدن المعروفة. فمانتينييا التي في أركاديا مثلاً، سكنها معاً مستعمرون آرغوسيون من 5 مشاعات، وسكن تيغييا مستعمرون من 9 مشاعات، وسكن غيريا مستعمرون من 9 مشاعات. وعلى هذا النحو عينه اتحدت إيجيوس في مدينة من 7 أو 8 مشاعات، وباري من 7 مشاعات، وديما من 8 مشاعات، واتحدت إيليدا في مدينة تكونت من المشاعات التي كانت تسكن الضواحي ([أسّس][3] الأغرياديون إحداها). ويجري عبر المدينة، على مقربة من الجمنازيوم، نهر بينييوس. أمّا الجمنازيوم فقد بناه الإيلييون الذين كانوا تحت حكم نسطور.

3- وهذه المناطق هي: بيساتيدا التي تشكّل أوليمبيا جزءاً منها، وتريثيليا، وبلاد الكافكونيين. وقد دعي التريثيليون[4] بهذا الاسم، لأنّ ثلاث قبائل اختلطت مع بعضها في هذه المنطقة: قبيلة الإيبيين التي كانت تعيش هناك أولاً، وقبيلة المينيين التي سكنت هنا فيما بعد، وقبيلة الإيليين التي فرضت سيطرتها على البلاد في آخر الأمر. ولكنّ بعضهم يذكر الأركاديين بدلاً من المينيين، لأنّ الأركاديين غالباً ما أثاروا نزعات بهدف السيطرة على البلاد؛ ولذلك دعيت بيلوس نفسها أركادية، كما دعيت تريثيلية أيضاً. ويدعو هوميروس هذه البلاد كلّها حتّى ميسينا، بيلوس، أي باسم واحد مع المدينة. ولكنّ انفصال كيلي إيليدا عن المناطق الخاضعة لسلطة نسطور، واضح من أسماء الزعماء وتسميات المناطق الواردة في «سجلّ السفن»[5]. وأنا أؤكد هذا لأنني

قارنت الحالة الراهنة بوصف هوميروس. فلا بد من إجراء هذه المقارنة بسبب المجد الذي يحظى به الشاعر، وتبعاً لمعرفتنا الوثيقة به منذ نعومة أظفارنا، لأنّ أيّاً منّا لا يعترف بأن المسألة المطروحة قد وجدت حلها الصحيح إلاّ عندما لا يتعارض عرضنا لها نفسها في أي شيء مع ما حكم به الشّاعر بصدد المسألة عينها. وهكذا ينبغي الحديث عن الواقع الراهن للأشياء، وإذ نقارن كلمات الشّاعر فإننا نخضعها للدراسة، لأنها تتّصل بالموضوع المطروح.

4- وتقع في إيليدا رأس بحرية تدعى أراكس، وهي تتّجه شمالاً، وتبعد 60 مرحلة عن مدينة ديما الآخية. وأنا أعتبر هذه الرأس بداية ساحل الإيليين. وإذا اتّجهنا غرباً، تليه كيلينا، محطة الإيليين الشراعية التي تنطلق منها طريق طولها 120 مرحلة في داخل البلاد تقود إلى مدينة إيليدا الحالية. ويذكر هوميروس هذه الكيللينا أيضاً عندما يسمّي:

اوتوس الكيلليني، زعيم الإيبيين؛

(الإلياذا XV، 518)

فلم يكن بمقدوره أن يتخيّل قائداً للإيبيين ينتمي إلى منطقة تقع عند جبل أركادي. وكيللينا هذه عبارة عن قرية غير كبيرة فيها أسكليبوس صنعه كولوت، وأسكليبوس هذا تمثال رائع مصنوع من العاج. وتلي كيللينا رأس هيلوناتوس البحرية، وهي أقصى نقطة في غربي البيلوبونيز. وتقع أمام هذه الرأس جزيرة صغيرة، وأماكن ضحلة بين كيلي إيليدا ومنطقة البيساتيين؛ ومن هنا إذا أبحرت إلى كيثالينا، فإن المسافة ليست أكثر من 80 مرحلة. وفي مكان ما على مقربة على الحدود المذكورة، يجري نهر إيليسون، أو إيليسا.

5- وبين هيلوناتوس وكيللينا يصبّ نهر بينييوس [في البحر]، وكذلك نهر سيلييس الذي يجري من ثولويا. وتقع على نهر سيلييس هذا مدينة إيثيرا التي ينبغي التفريق بينها وبين إيثيرا الثيسبروتية، وإيثيرا التسالية، وإيثير الكورونثية؛ فهذه الإيثيرا، هي الإيثيرا الرابعة الواقعة على الطريق التي تقود إلى لاسيون، وهي كمدينة بيونيا نفسها (لأنهم هكذا يدعون إينويا)، أو الأخرى التي تقع على مقربة منها، على بعد 120 مرحلة عن مدينة الإيليين. وعلى الراجح أن هذه هي تلك الإيثيرا نفسها التي كانت كما يقول هوميروس، مسقط رأس والدة تليبوليموس ابن هرقل (لأن حملات هرقل جرت على أغلب الظنّ في هذه المنطقة):

لقد خطفها من إيثيرا التي عند مياه سيلييس

(الإلياذا II، 659)

فليس على مقربة من الإيثيرات الأخريات أي نهر يدعى سيلييس. ومن هنا أيضاً درع ميغيس:

... في الزمن الغابر حمل فيلييوس

هذه الدرع من مدينة إيثيرا، من مياه سيلييس

(الإلياذا XV، 530)

ومن هذه المدينة أيضاً العقاقير القاتلة؛ فهوميروس يقول، إن أوديسيوس جاء إلى إيثيرا:

بحثاً عن السم قاتل الناس، ليسقي به سهامه[6]؛

(الأوذيسا I، 261)

وعن تيليماخ يقول الخطّاب:

قد يحصل أن يزور الأرض الغنية إيثيرا،

ليحصل منها على السم القاتل الناس...

(الأوذيسا II، 328)

ففي قصته عن الحرب ضدّ الإيبيين يصف نسطور ابنة أفغيوس ملك الإيبيين التي تركّب العقاقير السامة:

لقد جندلت الرجل الأول...

موليوس المقاتل؛ صهر أفغياس الحاكم،

زوج ابنته الكبرى...

التي تعرف أعشاب المداواة كلّها، وكم تنجب الأرض منها

(الإلياذا II، 738)

ولكن عند سيكيون نهر آخر يدعى سيلييس، وغير بعيد عن النهر تقع إيثيرا الجديدة. وفي منطقة أغريوس الإيثولية تقع إيثيرا قديمة أيضاً؛ ويدعى سكّانها إيثيريين. وثمّة إيثيرات أخرى أيضاً: في منطقة البيريبيين الذين يعيشون على مقربة من مقدونيا، وإيثيرا الكرانونية، وكذلك إيثيرا الثيسبروتية التي خرجت من كيخيروس التي كانت تدعى من قبل، إيثيرا.

6- وفي معرض شرحه للطريقة التي اعتاد هوميروس أن يميّز بها تطابق أسماء الأماكن، يسوق أبوللودوروس المثال الآتي: مثلما يصف الشّاعر في حديثه عن أوركومين، أوركومين الأركادية بأنها «غنية بالقطعان»[7]، وأوركومين البيوتية بأنها «مينوية»[8]، ويصف ساموس بالتراقية، قارناً إياها بالجزيرة المجاورة:

بين ساموس [المقدّسة] وإيمبروس
[ذات الصخور المخيفة]

(الإلياذا XXIV، 78)

لكي يميّزها عن ساموس الإيونية؛ كذلك يميّز الشاعر، كما يقول أبوللودوروس، إيثيرا الثيسبروتية بقوله: «بعيداً عن»، أو بقوله: «عند نهر سيليس»[9]، أو «من مياه سيلييس». وفي هذا لا يتّفق أبوللودوروس مع ديميتري السكيبسيسي الذي يقتبس عنه جل مادته. فديميتري يقول: ليس عند الثيسبروتيين نهر يدعى سيلييس، ويقع هذا النهر في إيليدا ويجري هناك على مقربة من إيثيرا كما قلت آنفاً[10]. ولكنّ زعم أبوللودوروس هذا يتطلب أن نتحقّق من صحّته، كما يجب أن نتحقّق أيضاً من صحّة ما قاله عن إيخاليا، لأنّ إيخاليا ليس اسماً لمدينة واحدة فقط؛ فعلى حدّ قوله لا توجد سوى إيخاليا واحدة، هي إيخاليا إيفريتوس- إيخاليا التسالية التي يقول هوميروس عنها:

و[الشعب] الذي يعيش في إيخاليا، مدينة الملك إيفريتوس.

(الإلياذا II، 370)

ولكن ما هي الإيخاليا التي توجه منها [ثاميريس]، عندما قابلته الميوزات عند دوريون وسلبنه موهبته،

إذ لقين ثاميريس التراقي وسلبنه الموهبة.

(الإلياذا II، 595)

لأن هوميروس يضيف:

بينما هو في طريقه من عند إيفريتوس ملك الإيخاليين

(الإلياذا II، 596)

إذا كانت هذه الإيخاليا هي إيخاليا التسالية، فإن ديميتري السكيبسيسي مخطئ مرّة أخرى عندما يؤكّد أن هذه كانت إيخاليا الأركادية التي تدعى الآن أندانيا؛ ولكن إذا كان ديميتري على حق، فإن إيخاليا الأركادية تدعى بدورها «مدينة إيفريتوس»، بالتالي لم تكن هناك إيخاليا واحدة فقط؛ ولكن بحسب ما يقوله أبوللودوروس، لم يكن هناك سوى إيخاليا واحدة.

7- لقد كانت بيلوس تقع بالقرب من جبل سكوليوس بين مصبّ بينييوس ومصبّ سيلييس، وليست هذه مدينة نسطور، بل بيلوس أخرى لا شيء مشترك بينها وبين ألثييوس أو باميس (أو أماثون إذا كان يجب أن يدعى هكذا). ولكنّ هناك من يحرف كلام هوميروس، ساعياً إلى تحقيق مجد، نسطور ومحتدّه النبيل، فالتاريخ يذكر ثلاث مدن في البيلوبونيز تحمل اسم بيلوس (كما يقول بيت الشعر التالي:

هناك بيلوس قبل بيلوس، ولكنّ ثمّة بيلوس أخرى أيضاً)[11].

إن بيلـوس الـتي يجـري الحـديث عنهـا، هـي بيلـوس الميسـينية الواقعـة عنـد كوريفاسيوس؛ ويسعى سكّان كلّ بيلوس ليظهروا أن بيلوس التي في منطقتهم هي emathoeis[12]، ويعلنونها مسقط رأس نسطور. ولكنّ أكثر الكتّاب الأحدث عهداً، سواء كانوا مؤرّخين أو شعراء، يدعون نسطور ميسينياً، مؤيدين بذلك بيلوس التي بقيت حية حتّى زمنهم. أمّا الكتاب الذين يتعاملون مع ما قاله هوميروس بدقّة أكبر، فإنهم يقولون، إن بيلوس نسطور، هي بيلوس التي يجري عبر منطقتها نهر ألثييوس؛ ولكنّ هذا الأخير يجري عبر بيساتيدا وتريثيليا. ومع ذلك فإن الكتّاب الذين من كيلي إيليدا تحدّثوا بكثير من الحماس والغيرة لصالح بيلوسهم، بل لم يكتفوا بهذا، فألحقوا بها مواد مميّزة[13]، فأشاروا إلى منطقة هيرين، ونهر هيرونت، ونهر آخر يدعى هيرانوس، ومن ثمّ زعموا بجرأة أن صفة «الهيريني» التي أطلقها هوميروس على نسطور مشتقة من تسميات هذه الأماكن. وهذا ما فعله الميسينيون أيضاً، ويبدو أن حججهم أكثر مشروعية: إنهم يرون أن هيرينا التي لهم أكثر شهرة، كما كانت كثيرة السكّان في زمن ما. إن هذه هي الحالة الراهنة في كيلي إيليدا.

8- ولكن حينما يقسم الشّاعر هذه البلاد إلى أربعة أجزاء، ويتحدّث عن زعمائها الأربعة، فإن ما يقوله غير واضح:

في إثر البوبراسيين اندفعت شعوب إيليدا المقدّسة،
وسكّان تلك المناطق مثل هيرمينا، وميرسين الحدودية
والجرف الأوليني والهضبة الأليسية اتسعت لهم:
قادهم أربعة زعماء، وعشر سفن سريعة أبحرت وراء
كل منهم، وعساكر كثر من الإيبيين.

(*الإلياذا* II، 615)

وحينما يدعو البوبراسيين والإيليين، إيبيين، ولا يدعو البوبراسيين مرّة واحدة إيليين، ينشأ انطباع بأنه لا يقسم إيليا إلى أربعة أقسام، بل على الأرجح أنه يقسم بلاد الإيبيين التي كان قد قسمها قبل ذلك إلى قسمين؛ وعلى هذا النحو فإن بوبراسوس لا يمكن أن تشكّل جزءاً من إيليدا، بل على الأغلب جزءاً من بلاد الإيبيين. فمن الواضح أنه يدعو البوبراسيين إيبيين:

سنيّهم كالإيبيين في بوبراسا أقاموا
للملك أمارينكوس ولائم الدفن...

(*الإلياذا* XXIII، 630)

وفيما يخصّ بوبراس فإنها الآن منطقة ما من مناطق إيليدا التي يسكنها سكّان يحملون الاسم نفسه، وهم يشكّلون جزءاً من إيليدا. ومن جهة أخرى، عندما يأتي على ذكرهما معاً- «بوبراسوس» و«إيليدا المقدّسة» - ، ثمّ يقسم البلاد إلى أربعة أقسام، عندئذٍ يبدو كأنه يخضع هذه الأقسام الأربعة لتسمية مشتركة واحدة، هي «بوبراسوس وإيليدا المقدّسة». ونحن نظنّ أنه في زمن ما كانت في إيليدا قرية كبيرة تدعى بوبراسوس، وقد اندثرت ولم يعد لها الآن وجود (مثل هذا الاسم لا تحمله الآن سوى أرض تقع على الطريق التي تقود من المدينة الحالية إلى ديما). ونحن يمكننا أن نفترض أن بوبراسوس كانت في ذلك الوقت تتفوّق بمعنى ما على إيليدا، مثلما كان الإيبيون يتفوّقون على الإيليين، وفيما بعد باتوا يدعون السكّان إيليين بدلاً من إيبيين. ومع أن بوبراسوس كانت تشكّل جزءاً من إيليدا، إلا أن هوميروس، كما يقولون، استخدم مجازاً شعرياً ما، ودعا الجزء إلى جانب الكل، عندما قال مثلاً:

عبر إيليدا والجزء الداخلي من آرغوس،

(*الأوذيسا* I، 344)

و **عبر هلادا وفتيا،**

(*الأوذيسا* IX، 496)

و **كانت شتائم بين الكوريتيين والإيثوليين [محبي الشتائم]**

(*الإلياذا* IX، 529)

و **عساكر من دوليخيا، وعساكر من الجزر الإيخينادية المقدّسة؛**

(*الإلياذا* II، 625)

فدوليخوس هي إحدى جزر إيخينادا. كما يستخدم الشعراء الأحدث عهداً بدورهم هذا المجاز، ومنهم على سبيل المثال هيبوناكس حينما يقول:

يأكلون الخبز من قبرص، وقمح الأماثوسيين

(*مقطع* 82، *بيرغك*)

فالأماثوسيون هم سكّان قبرص أيضاً؛ وألكمان إذ يقول:

تاركاً قبرص المرغوبة، وبافوس التي تغسلها الموجة،

(*مقطع* 21، *بيرغك*)

وإيسخيليوس(14) عندما يقول:

وقبرص وبافوس - كلّ شيء ملك لك

(*مقطع* 463، *ناؤوك*)

ولكـن إذا كـان هـوميروس لم يـدع البوبراسـيين إيلـيين [في أي مكـان]، فـإني أقول، إنه لم يأت على ذكـر كثير من الحقـائق؛ وليس صمته عنها برهاناً على عدم وجودها، بل يعني فقط إنه لم يأت على ذكرها وحسب.

9- وبحسب هيكاتوس الميلتوسي أن الإيبيين كانوا يختلفون عن قبيلة الإيليين؛ وفي الأحوال كلّها فقد شارك الإيبيون في حملة هرقل ضدّ أفغيوس وعاونوه في الانتصار عليه وإخضاع إيليدا. ويقول هيكاتوس إن ديما مدينة إيبية وآخية. ولكنّ المؤرّخين القدماء يسوقون كثيراً من المعلومات غير الصحيحة، لأنهم يستخدمون الأساطير في مؤلّفاتهم، فقد نشؤوا على الكذب؛ وهذا هو سبب التباين فيما يسوقونه عن المسألة عينها. بيد أنه ليس هناك ما هو غريب في أن الإيبيين، حتّى لو كانوا في زمن ما على عداء مع الإيليين، وحتّى لو كانوا قد انتموا إلى قبيلة أخرى، قد عادوا واتحدوا معهم وشكّلوا نتيجة لغلبتهم دولة مشتركة، وسادوا على المناطق وصولاً إلى ديما. فهوميروس لم يأت على ذكر ديما، مع أنه ثمّة مشروعية لفرضية وجود ديما حينئذٍ تحت سلطة هؤلاء، فهي كانت في الأحوال كلّها تحت سلطة الآخيين الذين امتلكوا البلاد. ومن الأجزاء الأربعة التي تقع ضمنها بوبراسوس، لم يخضع لإيلييا سوى هيرمينا وميرسين، بينما كان الجزآن الباقيان يقعان على حدود بيساتيدا، كما يرى بعضهم.

10- لقد كانت هيرمينا مدينة صغيرة؛ وهي الآن غير موجودة، ولكن بالقرب من كيللينا تقع رأس بحرية جبلية تدعى هورمينا أو هيرمينا. أمّا ميرسين فهي الآن ميرتونتي، القرية التي تنبسط حتّى البحر وتقع على الطريق التي تقود من ديما إلى إيلييا على بعد 70 مرحلة عن مدينة الإيليين. ويرون في جبل سكوليوس الحالي الصخرة الأولينية. ونحن من واجبنا أن نعلن ما نرى أنه يمكن أن يكون قريباً من الواقع، لأنّ الأماكن وأسماءها قد تغيّرت، وفي غضون ذلك فإنّ الشّاعر نفسه يعطي في أحيان كثيرة إشارات ليست واضحة الوضوح كلّه. فسكوليوس هو جبل صخري، وهو الأرض المشتركة بين الديميين، والتريتيانيين، والإيليين؛ وهو يجاور جبلاً أركادياً ما يدعى لامبيا، الذي يقع على بعد 130 مرحلة عن إيليدا، وعلى بعد 100 مرحلة عن تريتيا، ومثلها عن ديما، وهما مدينتان آخيتان. وألسيوس هي أليسييا الآن، وهي أرض تقع عند أمفيدوليدا، حيث يتجمّع سكّان الضواحي كلّ شهر ليقيموا هنا معرضاً تجارياً. وتقع مدينة أليسيوس على طريق جبلية تقود من إيليدا إلى أوليمبيا. وفي الأزمنة الماضية كانت هذه المدينة هي مدينة بيساتيدا، لأنّ الحدود كانت تتغيّر بين زمن وآخر تبعاً لتغيّر الحكّام. والشّاعر بدوره يسمّي مدينة أليسيوس «هضبة أليسيوس»:

لم يسوقوا الجياد بعـد إلى بوبـراس الوفيرة الحنطـة،

حيث الصخرة الأولينية والتل المسمّى أليسيوس،

(الإلياذا XI، 756)

(ينبغي تأويل هذه الكلمات حالة من حالات تغيير نظام ترتيب الكلمات أي بدلاً من قوله، هناك حيث يقع المكان الذي يدعى هضبة أليسيوس). ويشير بعضهم أيضاً إلى نهر أليسيوس.

11- بما أن بعض القبائل في تريثيليا عند ميسينا يحمل اسم الكافكونيين، كما أن بعضهم يدعو ديما بالكافكونية أيضاً، وعلى أراضي ديما بين ديما وتريثيا يجري نهر يسمّى كافكون (بصيغة التأنيث)، فإن سؤالاً يبرز لدى الكتّاب: ألا توجد قبيلتان كافكونيتان مختلفتان إحداهما في منطقة تريثيليا والأخرى في منطقة ديما، وإيليدا، ونهر كافكون؟ إن هذا النهر يصبّ في نهر آخر يدعى (بصيغة المذكر) تيثييوس؛ وتيثييوس يحمل الاسم عينه الذي تحمله واحدة من المدن الصغيرة التي جرى نقلها إلى ديما، ما عدا أن اسم هذه المدينة تيثييوس بصيغة التأنيث ويكتب من غير السيغما، وينطق المقطع الأخير فيه ممدوداً[15]، وفي هذه المدينة الصغيرة معبد لأرطميس النيميدية[16]. ويصبّ نهر تيثييوس في نهر أخيلوي الذي يجري إلى ديما ويحمل الاسم عينه الذي يحمله النهر الأكارناني. ويدعى هذا النهر بيروس أيضاً. فهسيود يدعوه مثلاً:

كان يقطن عند السلسلة الأولينية، على طول الضّفّة العالية

لبيروس الواسع.

(مقطع 74، رجاخ)

ويكتب بعضهم اسم بيروس خطأ: بييروس. ويطرح هؤلاء مسألة الكافكونيين ويقولون، عندما تخاطب أثينا نسطور في «الأوذيسا» متخذة صورة مينتور:

غداً مع الفجر عليّ أن أمضي إلى شعب الكافكونيين البواسل

ينبغي على الناس هناك أن يؤدوا لي الدين القديم، وهو

ليس ديناً قليلاً. أرسل تيليماخ، بعد أن يضيف عندكم مع

ابنه، في مركبة، ومر أن يعطى جياداً...

(الأوذيسا III، 366)

فعلى الأغلب أن الشّاعر يحدّد هنا أرضاً معينة في بلاد الإيبيين التي كان يملكها الكافكونيون الذين يختلفون عن الكافكونيين التريثيليين، وربّما كانت هذه الأرض تمتدّ حتّى منطقة ديما. ويجب ألا نغفل في هذا السياق مسألة نشوء صفة ديما

«الكافكونية»، وتسمية نهر «كافكون»، لأنّ الكافكونيين بدورهم يثيرون مسألة: من هم أولئك الذين مضت إليهم أثينا لتتلقى منهم، بحسب قولها، الدين الذي لها عندهم؛ فلو أوّلنا كلمات الشّاعر بمعنى أنه يتحدّث عن الكافكونيين في تريثيليا عند ليبرييوس، فإني لا أفهم عندئذٍ كيف يمكن أن نثق بصحّة هذا القول. ولذلك فإن بعضهم يدقق هذا المكان:

يجب أن يؤدّي لي الناس الذين في إيليدا المقدّسة
الدين غير القليل[17].

وعلى وجه العموم تغدو هذه المسألة أكثر وضوحاً عندما سأصف المنطقة التي تلي هذه، وهي تحديداً بيساتيدا وتريثيليا وصولاً إلى حدود بلاد الميسينيين[18].

12- بعد هيلوناتوس على امتداد كبير يأتي ساحل البيساتيين، ثمّ رأس ثييا البحرية. كما كانت هناك مدينة صغيرة تحمل اسم ثييا:

عند حصون ثييا، غير بعيد عن تيارات ياردانوس

(*الإلياذا* VII، 135)

لأن جدولاً يجري هناك. ويرى بعضهم أن ثييا هي بداية حدود بيساتيدا. وتقع أمام ثييا جزيرة صغيرة وميناء، حيث أقرب مسافة من البحر إلى أوليمبيا 120 مرحلة تلي ذلك رأس بحرية أخرى، هي رأس إيختيس، ومثلها مثل رأس هيلوناتوس، تمتدّ هذه أيضاً عميقاً في البحر نحو الغرب؛ وتبلغ المسافة بينها وبين كيثالينا 120 مرحلة أيضاً. ويلي ذلك مصبّ ألثييوس الذي يبعد عن هيلوناتوس 280 مرحلة، وعن أراكس 545 مرحلة. وينبع ألثييوس من المناطق نفسها التي ينبع منها إيفروت، أي من المكان الذي يدعى أسييا (قرية على أراضي ميغالوبوليتيدا)، حيث يقع هناك ينبوعان قريب واحدهما من الآخر، ومن هناك ينبع النهران المذكوران. وبعد أن يجري هذان مراحل كثيرة[19] تحت الأرض، ينبثقان من جديد على سطح الأرض، ثمّ يجري أحدهما إلى لاكونيا، والآخر إلى بيساتيدا. إن نهر إيفروت الذي يخرج إلى سطح الأرض هناك حيث تبدأ حدود المكان الذي يحمل اسم بليميناتيدا، يجري على مقربة من إسبرطا نفسها، ويقطع وهدة طويلة على مقربة من هيلوس (مكان يذكره الشاعر)، ليصبّ أخيراً في البحر بين هيفيوس، ميناء إسبرطا، وأكرييا. أمّا ألثييوس فإنه بعد أن يتلقى مياه لادون، وأريمانثوس وسواهما من الأنهار الأخرى الأقل أهمية، يجري عبر فريكسا، وبيساتيدا، وتريثيليا على مقربة مباشرة من أوليمبيا، ثمّ إلى البحر الصقلي حيث يصبّ فيه بين ثييا وإيبيتالوس. وعلى مقربة من مصبّ النهر يقع دغل مقدّس مكرّس

لأرطميس ألثيونيا أو ألثيوسا (لأن الصفة تكتب على الوجهين)، على مسافة تقارب 80 مرحلة من أوليمبيا. ويحتفل على شرف هذه الإلهة، كما على شرف أرطميس إيلاثيا وأرطميس دافنيا، بعيد سنوي في أوليمبيا. إن هذه البلاد مليئة كلّها بمعابد أرطميس، وأفروديت، والحوريات، وتقع كلّها في أدغال مقدّسة حيث تكثر الزهور عادة بسبب وفرة المياه. وثمّة معابد كثيرة لهرمس منتشرة على الطرقات، ومعابد لبوسيدون على الرؤوس البحرية. وفي معبد أرطميس ألثيونيا لوحات شهيرة جدّاً للرسامين الكورونثيين كليانثوس وأريغونتوس: «الاستيلاء على طروادا» و«ولادة أثينا» لكليانثوس، و«أرطميس على جناحي الرخم».

13- ثمّ يأتي جبل تريثيليا الذي يفصل ماكيستيا عن بيساتيدا، وبعده نهر آخر يحمل اسم خالكيدس، وينبوع كرونا، وقرية خالكيدا، وبعدهم ساميك حيث يقع معبد مبجل جدّاً لبوسيدون الساميكي. وثمّة عند المعبد دغل مقدّس فيه كثير من شجر الزيتون البري. ويعتني الماكيستيون بهذا الدغل؛ وهم الذين أعلنوا يوم المصالحة الذي يدعى ساميكياً. ويساهم التريثيليون كلّهم بالمال للإنفاق على المعبد.

14- وفي مكان ما على مقربة من هذا المعبد، فوق البحر، على مسافة 30 مرحلة أو أكثر بقليل تقع بيلوس التريثيلية التي تدعى أيضاً بيلوس الليبرياتية، التي يدعوها هوميروس emathoeis ويقدّمها على أنها مسقط رأس نسطور، وهو ما يمكننا أن نستخلصه من كلماته؛ وإذا كان النهر الذي يجري على مقربة من بيلوس نحو الشمال (وهو الآن مالايوس أو أركاديك)، قد دعى في الزمن السابق أماث، فإن بيلوس أخذت صفتها emathoeis من «أماث» هذا؛ أمّا إذا كان هذا النهر قد دعي باميس (ومثله أيضاً نهران في ميسينا)، فإن المعنى الأولي لصفة المدينة يبقى مبهماً؛ لأنّ ما يقولونه عن أن النهر والمنطقة المحيطة به، هي منطقة «رملية»، غير صحيح. كما أن معبد أثينا السكيلونتية القائم عند سكيلونت المجاورة لأوليمبيا قرب فيللون[20]، ينتمي إلى عداد المعابد الشهيرة. وقرب بيلوس شرقاً يقع جبل مسمّى على اسم مينفا، التي تروي الأساطير أنها جعلت نفسها خليلة هاديس فداستها كورا، ثمّ تحوّلت إلى نبات النعناع الذي يدعوه بعضهم «النعناع العطري»[21]. كما تقع قرب الجبل أرض لهاديس الذي يبجله الماكتستيسيون أيضاً، ودغل مكرّس لديميترا يقع فوق سهل بيلوس. ويتميّز هذا السهل بخصوبته، وهو يجاور البحر وينبسط على طول الفضاء الممتدّ بين ساميك ونهر نيدا. ولكنّ شاطئ البحر ضيّق ورملي، ولذلك لا يمكننا رفض فكرة أن تكون بيلوس قد نالت لهذا السبب، صفة «الرملية».

15- وإلى الشمال، على الحدود مع بيلوس، كان هناك مدينتان تريثيليتان: هيبانا وتيمباني؛ وقد اتحدت الأولى مع إيليدا، وبقيت الثانية على وضعها السابق. ويجري على مقربة من هذا المكان نهران: داليون وأخيرونت اللذان يصبّان في ألثييوس. وقد أخذ أخيرونت اسمه نتيجة لعلاقته الوطيدة مع هاديس؛ فهناك لم يبجلوا معابد ديميترا وكورا فقط، بل معابد هاديس أيضاً، ربّما بسبب «تناقضات التربة»[22]، كما يقول ديميتري السكيبسيسي. ومع أن تريثيليا خصبة، لكنّها تنتج القمح صدئاً مع البنج، ولذلك غالباً ما يحل القحط محل الموسم الوفير في هذه الأماكن.

16- وإلى الجنوب من بيلوس تقع ليبرييوس. وكانت هذه المدينة تقع إلى الأعلى من البحر بأربعين مرحلة. وبين ليبرييوس وأنييوس[23] معبد لبوسيدون الساميكي على بعد 100 مرحلة من المدينتين. وكان هذا المعبد، هو المعبد نفسه الذي وجد تيليماخ البيلوسيين يقدّمون فيه الذبيحة، كما يقول هوميروس:

في ذلك الحين بلغت السفينة مدينة نيلييوس،
بيلوس العامرة. وقد اجتمع الشعب هناك على الشاطئ
ليقدّم الثيران السوداء قرباناً لبوسيدون، الإله
اللازوردي الأجعد الشعر.

(الأوذيسا III، 4)

وغني عن البيان القول، إنه يحق للشاعر أن يختلق حتّى ما ليس له وجود، بيد أنه ينبغي عليه أن يوائم كلماته، قدر الإمكان، مع الحقائق ويحافظ على مصداقية الرواية؛ لكنّ الموقف الأنسب هو الابتعاد عن التلفيق والكذب. لقد كانت أرض الليبرياتيين خصبة؛ وكان الكيباريسيون جيرانهم. وكانت المنطقتان معاً للكافكونيين، وكذلك ماكيستوس (التي يدعوها بعضهم بلاتانيستونت). ويتطابق اسم المدينة مع اسم المكان. ويقولون، إن في ليبرياتيدا شاهدة على قبر كافكون مؤسّس القبيلة، أو الشخص الذي لسبب ما حمل والقبيلة اسماً واحداً.

17- هناك كثير من الروايات عن الكافكونيين. فيرون أنهم كالبيلاسيغيس، قبيلة أركادية، وكالبيلاسيغيس قبيلة من البدو الرحل. وفي الأحوال كلّها يقول هوميروس[24]، إنهم جاؤوا إلى طروادا حلفاء للطرواديين؛ لكنّه لم يقل من أين جاؤوا؛ بيد أنهم جاؤوا على أغلب الظنّ من بافلاغونيا، لأنّ في بافلاغونيا قبيلة تدعى الكافكونياتيين، على الحدود مع منطقة الماريانيدينيين، وهؤلاء بافلاغونيون أيضاً. ولكنّني سأتحدّث عنهم بمزيد من التفصيل حينما انتقل إلى وصف هذه المنطقة[25]. أمّا

الآن فيجب علي أن أضيف إلى روايتي عن الكافكونيين في تريثيليا الآتي. بعضهم يقول، إن إيليدا الحالية كلّها من ميسينا حتّى ديما، كانت تدعى كافكونيا. فانتيماخ يدعو السكّان كلّهم إيبيين تارة وكافكونيين تارة أخرى. أمّا الآخرون فعلى العكس، إذ يؤكّدون أن الكافكونيين لم يشغلوا إيليدا كلّها، بل عاشوا فريقين منفصلين: فريق في تريثيليا على مقربة من ميسينا، وفريق في بوبراسيدا وكيلي إيليدا قرب ديما؛ وأرسطو يعرف[26] أيضاً أنهم عاشوا أساساً هنا. وفي هذه الحال، فإن هذا الرأي الأخير هو الأكثر توافقاً مع كلمات هوميروس ويفضي إلى حل المسألة المطروحة آنفاً، لأنه بحسب هذا الرأي أن نسطور عاش في بيلوس التريثيلية، وكانت المناطق الواقعة إلى الجنوب والشرق (أي الأراضي المجاورة لميسينا والبلاد اللاكونية) تحت سيطرته؛ وكان الكافكونيون يشغلون هذه المناطق، بحيث لو سرت براً من بيلوس إلى لاكيديمون، فإن الطريق ستمر بالضرورة عبر منطقة الكافكونيين. وعلاوة على هذا فإن معبد بوسيدون الساميكي والمحطة الشراعية الواقعة قربه، حيث رسا تيليماخ، يتّجهان نحو الشمال الغربي. ولو عاش الكافكونيون هنا فقط، لتعذر الاعتراف بصحّة رواية الشاعر. فبحسب سوتادس مثلاً، أن أثينا أمرت نسطور بإرسال تيليماخ إلى لاكيديمون «مع ولده في مركبة»، أي إلى المناطق الشرقية من البلاد؛ أمّا هي نفسها فتقول، إنها ستعود إلى السفينة لتبيت هناك، أي ستتّجه غرباً عائدة بالطريق التي جاءت منها:

غداً عليّ أن أمضي إلى شعب الكافكونيين البواسل،

(*الأوذيسا* II، 366)

لأحصل على الدّيْن، أي أنها ماضية إلى الأمام مرّة أخرى. فما هو شكل هذه التحركات؟ لقد كان يمكن لنسطور أن يعارض قائلاً: «إن الكافكونيين خاضعون لسلطاني، ويعيشون على الطريق التي يسلكها المتجهون إلى لاكيديمون. فلماذا لا تمضين أنت مع تيليماخ ومرافقيه بدلاً من أن تعودي أدراجك على الطريق عينها التي أتيت منها؟». وفي الوقت نفسه كان ينبغي على من يذهب إلى أناس خاضعين لسلطة نسطور لتحصيل دَيْن («غير قليل»، كما قالت)، أن يطلب عونه، إذا كان أولئك قد أخلوا بالشروط المتفق عليها (كما يحصل عادة)؛ بيد أن الإلهة لم تسلك هذا السبيل. وعليه لو أن الكافكونيين عاشوا هنا فقط، لكانت رواية هوميروس مجرّد لغو ساذج؛ ولكن إذا كان فريق من الكافكونيين قد عاش منفصلاً عن الآخرين في منطقة قريبة من ديما في إيليدا، عندئذٍ يمكن لأثينا أن تتحدّث عن رحلتها إلى هناك، وليس

ثمّة ما هو لغو ساذج في عودتها إلى السفينة ولا في تركها رفاق الرحلة، فطريق هذه تمتدّ في الاتجاه المعاكس. وعلى النحو نفسه يمكن أن نجد إجابات على الأسئلة المبهمة بخصوص بيلوس، عندما سأصل في وصفي إلى أراضي بيلوس الميسينية.

18- لقد دعي فريق من سكّان تريثيليا بارورياتيين؛ وشغل هؤلاء الجبال المجاورة لليبرييوس وماكيستوس، حتّى البحر قرب بوسيديا الساميسية[27].

19- وعند سفوح هذه الجبال يقع كهفان: كهف الحوريات الأنيغريادس، وكهف يمثل المكان الذي دارت فيه أحداث أساطير بنات أتلانتس، وولادة داردانوس. ويقع هنا أيضاً الدغلان المقدّسان: الدغل الإيوني، والدغل الإيفريكيدي. أمّا ساميك فليست الآن سوى حصن، مع أنها كانت في الأزمنة المنصرمة مدينة حملت اسم ساموس، ربّما بسبب موقعها المرتفع، فالأماكن المرتفعة تدعى Samoi، وربّما كان هذا هو أكروبوليس قرية أرينا، التي ورد ذكرها عند هوميروس في «سجل السفن»:

في بيلوس الرجال الذين عاشوا في أرينا السعيدة،

(الإلياذا II، 591)

وبما أنه لم يتسن العثور على أرينا في أي مكان، فقد افترضوا أنها تقع هنا على أرجح تقدير:إن نهر أنيغرس المجاور الذي كان يدعى سابقاً مينييوس، يعطي إشارة مبهمة على صحّة التخمين؛ فالشّاعر يقول:

وهنا نهر مينييوس، وهو يهوي في البحر الصاخب
قريباً من أرينا.

(الإلياذا XI، 722)

لأن على مقربة من كهف الحوريات الأنيغريادس ينبوع يجعل من المكان الواقع أدنى منه مستنقعاً موحلاً. ويتلقى أنيغرس الكم الأكبر من مياه الينبوع، وأنيغرس هذا، هو نهر عميق يجري ببطء شديد حتّى يتحوّل عند نهاية مجراه إلى مستنقع، وبما أن المكان مليء بالوحول الطينية،فإن رائحة كريهة لا تطاق تنبعث منه وتنتشر مسافة 20 مرحلة، أمّا أسماك النهر فهي غير صالحة للأكل. وتعزو الروايات الأسطورية حالة النهر هذه إلى أن القنطورات غسلوا هنا سم الهيدرا، ويعزوها آخرون إلى أن ميلامبوس استخدم هذه المياه المطهرة لتطهير بنات بريتوس[28]. ويشفي الاغتسال في مياه هذا النهر من «القوباء الشقراء»، وداء الفيل، والجرب. ويقال، إن ألثييوس دعي باسمه هذا لأنّ مياهه تشفي من «القوباء الشقراء». وبما أن بطء جريان أنيغرس وارتداد المياه من البحر يجعلان مياهه أقرب إلى الراكدة منها إلى الجارية، فقد دعي في الأزمنة السابقة، كما يقولون، مينييوس، مع أن بعضهم حرف اسمه ليجعله مينتييوس[29]. ولكنّ المعنى

الدقيق لهذه الكلمة له جذور أخرى يرجع إليها منشؤه: إمّا إلى المستعمرين الذين جاؤوا مع كلوريدا، ووالدة نسطور من أركومين المينوية، أو من المينويين أحفاد الأرغونيين الذين هربوا في أوّل الأمر من ليمنوس إلى لاكيديمون، ومن هناك إلى تريڤيليا وسكنوا عند أرينا في منطقة تدعى الآن هيسبيسيا، مع أنه لم يعد فيها قرى مينوية. وقد أبحر بعض هؤلاء المينويين مع ثيروس ابن أوتيسيوس (وكان من أحفاد بولينيكس)، إلى جزيرة[30] تقع بين قورينا وكريت.

كانت تدعى كاليستا من قبل، وباتت تدعى ثيرا الآن،

(*مقطع* 112، *شنيدر*)

(كما يقول كاليماخ)، وأسّسوا ثيرا، التي غدت ميتروبوليا قورينا، ودعوا الجزيرة والمدينة بالاسم نفسه.

20- ويرونك بين أنيغرس والجبل الذي ينبع منه، مرج ياردانوس وآكيي وقبرهما؛ وهذه الأخيرة عبارة عن صخور شديدة الانحدار في الجبل نفسه الذي كانت تقع عليه، كما قلت سابقاً[31]، مدينة ساموس بيد أن مؤلّفي «البيريبلوس»[32] لم يأتوا على ذكر ساموس البتة؛ ربّما لأنها كانت قد دمّرت منذ زمن بعيد، وربّما بسبب موقعها؛ لأنّ بوسيديا عبارة عن دغل مقدّس، كما أسلفت القول[33]، يقع على مقربة من البحر، ويرتفع فوق تل شاهق أمام ساميك الحالية، في المكان الذي كانت تقع فيه ساموس، وهكذا فإن ساموس لم تكن ترى من البحر. ويقع هنا أيضاً سهل يدعى سهل ساميك؛ وهذا ما يعطينا دليلاً أكثر يقينية على أنه في زمن ما كانت تقوم هنا مدينة تحمل اسم ساموس. ثمّ إن الملحمة التي تحمل العنوان «رادينا» (ويعدّ ستيسيخور مؤلّفها)، والتي مطلعها:

تعالي أيتها الميوزا العذبة الصوت، إيراتو، وابدئي أغنيتك،
تغنّي بأبناء ساموس كلّهم بمرافقة القيثارة المحببة،

(*مقطع* 44، *بيرغك*)

تخص أبناء هذا الساموس، لأنّ رادينا المخطوبة لتيران كورينثوس، قد أبحرت، على حدّ قول الشاعر، من ساموس (ومن البدهي أنها لم تبحر من ساموس الإيونية) لدى هبوب الريح الغربية؛ ومع هذه الريح نفسها، يضيف الشاعر، وصل أخوها إلى دلفي بصفته الثيور[34] الرئيس؛ أمّا ابن عمها الذي كان يحبها، فقد ركب مركبة وتوجه إلى كورينثوس لكي يزورها. فقتلهما التيران معاً وأرسل جثمانيهما في مركبة، بيد أنه ندم على ما فعل، فأعاد المركبة ودفنهما.

21- والمسافة من هذه البيلوس إلى بيلوس الميسينية وكوريفاسيوس (وهو حصن يقع على شاطئ البحر)، وإلى جزيرة سفاغيا التي تجاوره، حوالي 400 مرحلة؛ ومن ألثييوس 750 مرحلة، ومن هيلوناتوس 1030 مرحلة. وفي الفضاء الممتدّ بينهما يقع معبر هرقل الماكسيتي، ويجري نهر أكيدون. ويجري أكيدون هذا قرب قبر ياردانوس ومدينة كايوس التي كانت تقع في زمن ما عند لابرييوس حيث يقع سهل إيباسي. ويزعم بعض الكتاب أنه بسبب هذه الكايوس وقعت الحرب بين الأركاديين والبيلوسيين، التي تحدّث عنها هوميروس، ويرون أنه ينبغي أن نكتب:

فتياً كنت في تلك السنين، عندما تلاقى عند

أكيدونت بيلاسيوس الجامح، عساكر البيلوسيين والأركاديين...

عند حصن كايوس...

(الإلياذا VII، 133)

بدلاً من «كيلادونت» و«ثييا»[35]، لأنّ هذه المنطقة بحسب قولهم أقرب من الأخيرة إلى قبر ياردانوس وبلاد الأركاديين.

22- تقع كيباريسيا على البحر التريثيلي، ومثلها بيرغي؛ و[يصبّ في هذا البحر] نهرا أكيدون ونيدا. ويشكّل مجرى نيدا الآن الحد الفاصل بين تريثيليا وميسينا (إن نيدا نهر جامح يجري من الجبل الأركادي ليكييوس من الينبوع الذي، بحسب الأسطورة، أرغمته ريبا بعد أن ولدت زيوس، أن يخرج إلى سطح الأرض لكي تغسل المولود بمائه)، ويجري نيدا عند فيغاليا قبالة المكان الذي يجاور فيه سكّان بيرغي، وهم الأخيرون من التريثيليين، سكّان كيباريسيان وهم أوّل الميسينيين؛ ولكنّ الحدود بين البلدين كانت تمرّ قديماً بشكل مختلف، فبعض المناطق الواقعة وراء نيدا كانت تحت سلطة نسطور؛ وليس كيباريسيينت وحده بل بعض الأماكن الأخرى وراء النهر؛ وعلى النحو نفسه يمد الشّاعر البحر البيلوسي إلى المدن السبع التي وعد آغاممنون أخيلليس بها:

كلّها على الساحل تجاور بيلوس الرملية،

(الإلياذا IX، 153)

لأن هذه الجملة توافق قوله «قرب البحر البيلوسي».

23- ومهما كانت الحال، فإنك إذا أبحرت بالقرب من كيباريسيينت نحو بيلوس الميسينية وكوريفاسيوس، فستبلغ إرانا (التي يرى بعضهم خطأ أنها كانت تدعى في الزمن القديم أرينا، أي بالاسم عينه الذي حملته أرينا البيلوسية)؛ ورأس بلاتاموديس البحرية؛ والمسافة من هذه الرأس حتّى كوريفاسيوس والمدينة التي تدعى

الآن بيلوس 100 مرحلة. وتقع هنا أيضاً جزيرة صغيرة، هي جزيرة بروتا وعليها مدينة صغيرة تحمل اسمها نفسه. وربّما كنت قد ابتعدت عن الغوص في تفاصيل مسائل الزمن القديم، واكتفيت بوصف تفصيلي للواقع الراهن للأشياء، لو لم تكن ترتبط بها الخرافات التي علمونا إياها منذ صغرنا؛ وبما أن مختلف المؤلّفين يتحدّثون عن هذا بشكل مختلف، فإنه ينبغي عليّ أن أبحث في آرائهم. وعلى وجه العموم يحظى الأشهر والأقدم والأكثر خبرة بينهم، بالثقة، وبما أن هوميروس يتفوّق على جميعهم في هذا، فإنه يجب علي أن أبحث فيما نقله وأقابله مع واقع الأشياء في الوقت الحاضر، كما كنت قد أسلفت منذ قليل[36].

24- كنت قد تناولت[37] بالنقد ما رواه هوميروس عن كيلي إيليدا وبوبراس. أمّا البلاد الخاضعة لسلطة نسطور، فقد قال عنها هوميروس الآتي:

في بيلوس الرجال الذين عاشوا في أرينا السعيدة
وثريوس، مخاضة ألثييوس، وإيبي بصرحها الماجد
ومدينة كيباريسيينت، ومدينة أمفيغينيا التي
سكنوا حولها؛ وبتيليوس، وهيليوس ودوريون،
المكان الذي إذ لاقت الميوزات فيه يوماً ثاميرس
التراقي بأغنيات الرجل الماجد، سلبنه الموهبة:
بينما كان آتياً من عند إيفريتوس، ملك الإيخاليين...

(*الإلياذا* II، 591)

وعلى هذا النحو فإن مسألة خلافية ترتبط ببيلوس، وسوف أتناولها مباشرة. وأنا كنت قد تحدّثت عن أرينا. والمدينة التي يدعوها الشّاعر هنا ثريون، يدعوها في مكان آخر ثريويسا:

توجد مدينة ثريويسا، على جرف شديد الانحدار تقع،
قصية على ضفّة ألثييوس.

(*الإلياذا* XI، 711)

فهو يدعو هذه المدينة «مخاضة ألثييوس»، لأنه على الأغلب كان يمكن عبور الثييوس هنا في مكان ضحل. وتدعى هذه القرية الآن إيبتالوس (موقع في ماكيستيا). أمّا فيما يخصّ «صرح إيبي الماجد [المبني جيداً]»، فإن بعضهم يحاول أن يحدّد: أي من الكلمتين للتعريف، وأيهما اسم للمدينة، ثمّ أليست هذه هي مارغالا الحالية التي في أمفيدوليا. وليست هذه قلعة طبيعية؛ إذ يشيرون إلى مكان آخر في ماكيستيا، هو الذي يعدّ قلعة طبيعية. وعلى هذا النحو فإن أولئك الذين يفترضون أن هوميروس يقصد هذا

المكـان الأخـير، يـرون أن «إيبي» («الشـديد الانحـدار»)، هـو اسـم المدينـة المـأخوذ مـن خاصيات المكان الطبيعية (قارن على سبيل المثال هيلوس[33]، وإيغيـالوس[39]، وأسماء كـثير مـن الأمـاكن الأخـرى)؛ أمّـا الـذين يـرون أن هـذه مارغـالا، فـإنهم علـى مـا يبـدو يفهمون الأمر على الضد[40]. فثريون[41] أو ثريويسا، كما يقولون، هـي إيبيتـالوس، لأنّ هذا المكان كلّه مغطى بنبات القصب، خاصة النهـر، وهـذا مـا يلفت النظـر أكثـر في الأمـاكن الـتي يمكـن عبـور النهـر فيهـا عـبر مخاضـة. لكـنّهم يقولـون، ربّمـا يكـون هوميروس قد دعا المعبر «ثريون»، وإيبيتالوس- «إيبي ذات البنيان الجيـد»، لأنّ إيبيتـالوس حصن طبيعي. وهو فعلاً يتحدّث في أماكن أخرى عن «جرف شديد الانحدار»:

توجد مدينة ثريويسا، على جرف شديد الانحدار تقع،

قصية على ضفّة ألثييوس، نهاية بيلوس الرملية.

(الإلياذا XI، 711)

25- تقـع كيباريسـيينت بجـوار ماكيسـتيا السـابقة (عنـدما كـانت ماكيسـتيا تمتدّ على الجانب الآخر من نيدا أيضاً). ولا يسـكن هـذه القريـة الآن أحـد، وكـذا هـي الحـال في ماكيسـتوس. بيـد أن هنـاك مكانـاً آخـر، هـو كيباريسـيا في ميسـينا؛ وهـي تـدعى الآن بالاسـم نفسـه الـذي تـدعى بـه الماكيسـتية، أي كيباريسـييا بصـيغة المفـرد المؤنث، بينما لا يحمل الاسم الآن سوى نهر كيباريسيينت. وتقع أمفيغينيا في ماكيسـتيا أيضاً، عند هيبسوينت حيث يقـوم معبـد لاتونـا. وكـانت بتيلييـوس مسـتوطنة لمسـتعمرين من بتيلييوس التراقية، لأنّ بتيلييوس كما يقول هوميروس، كانت في تساليا أيضاً:

غنية بالمروج بتيلييوس وأنترون التي تغتسل بمياه البحر،

(الإلياذا II، 697)

ولكنّها الآن مكـان تملؤه الأدغـال ولا يسـكنه أحـد، وهـي تـدعى بتيليياسـوس. وفيمـا يخصّ هيلوس فإن بعضهم يطلق هذا الاسم على أرض ما على مقربة من ألثييـوس، بينمـا يطلقه آخرون على مدينة سمية للاسم اللاكوني:

وهيلوس، المدينة الساحلية؛

(الإلياذا II، 584)

ويطلقه فريق ثالث على مستنقع قرب ألوريوس، حيث كان يقوم معبد أرطميس إيلييـا، الـذي كـان تحـت سـلطة الأركـاديين، لأنهـم كـانوا ينهضـون هنـاك بمهـام الكهنـوت. وفيما يخصّ دوريون فإن بعضهم يرى أنه جبل، بينما يرى آخرون أنـه سـهل؛ ولم يبـق منـه الآن أي أثر؛ بيد أن بعضهم يقول، إن دوريون هـي مدينـة أولـوريس الحاليـة أو مدينـة ألـورا

الـتي تقـع في أفلـون الميسـيني. وفي مكـان مـا هنـا تقـع إيخاليـا ، مدينـة إيفريتـوس (هـي أندانيا الحالية، مدينة أركادية صغيرة تحمل الاسم نفسه الـذي تحملـه مدينـة في تساليا وأخـرى في إيبيـوس)، الـتي جـاء منهـا ، ثـاميريس التراقـي، علـى حـدّ قـول الشـاعر، إلى دوريون وسلب موهبة الغناء.

26- ومـن هنـا يتّضـح أن الـبلاد الـتي يحكمهـا نسـطور، والـتي يـدعوها الشّـاعر كلّها «أرض البيلوسيين»، كانت تمتدّ على جانبي[42] ألثييـوس؛ ولكـنّ ألثييـوس هـذا لا يجري في أي مكان عبر ميسينا أو عبر كيلي إيليدا. فمسقط رأس نسطور يقع في المنطقـة الـتي نـدعوها بيلـوس التريثينيـة، أو الأركاديـة، أو الليبريوسـية. فالبيلوسـات الأخـرى تقـع علـى شـاطئ البحـر فعـلاً، أمّـا هـذه البيلـوس فتقـع علـى بعـد أكثـر مـن 30 مرحلة عن البحر، كما يتّضح من أشعار هوميروس؛ فهم أولاً، يرسلون إلى رفاق تيليماخ رسـولاً يـدعوهم للضـيافة، وثانيـاً، لـدى عودتـه مـن إسـبرطا، لم يـأذن تيليمـاخ لبيسيستراتوس أن يسافر إلى المدينة، بل أمره أن يسرع بالانعطاف نحو السفينة، وهـذا يعـني أن الطريـق إلى المدينـة والمينـاء لم تكـن هـي نفسـها. وعلـى هـذا النحـو لا يمكـن وصف رحلة عودة تيليماخ وصفاً صحيحاً إلا وفق هذا الافتراض.

لقد فاتوا كروني وخالكيس البهي؛
وكانت الشمس عندئذٍ قد غابت، وأظلمت الطرقات كلّها.
وخلّفت السفينة التي ترافقها ريح زيوس، ثيا وراءها
وعبرت منطقة الإيبيين المقدّسة، إيليدا.

(الأوذيسا XV، 295)

حتى الآن لا تزال طريق السفينة تسير نحو الشمال، لكنّها تنعطف من هنا نحو الشرق. وعلى هذا النحو تترك السفينة الطريق المباشر إلى أتيكا، الذي أخذته منذ بداية انطلاقها، لأنّ الخطّاب أعدّوا هناك حصاراً.

بين إيثاكا وسام...

(الأوذيسا IV، 671)

وأبحر من هناك إلى الجزر الحادة الأطراف،

(الأوذيسا XV، 299)

لكـنّ الشّـاعر يفهـم كلمـة thoia[43] بمعنـى الجـزر «الحـادة الأطـراف». وهـي تنتمـي إلى مجموعـة الجـزر الإيخينـادية، وتقـع قريبـة مـن بدايـة خلـيج كورينثـوس ومصـبّ أخيلـوي. وبعد أن فات إيثاكا بحيث باتت إلى الجنوب، انعطف تيليماخ مـرّة أخـرى ليـأخذ طريقـه

الصحيحة بين أكرانانيا وإيثاكا، ويرسو على الجانب الآخر من الجزيرة، على مسافة من المضيق الكيثالي الذي كان يحرسه الخطّاب[44].

27- وفي الأحوال كلّها، إذا ما افترضنا أن بيلوس إيلييا، هي بيلوس نسطور، فعندئذٍ لن يكون صحيحاً قوله، إن السفينة التي أبحرت من هنا فاتت كروني وخالكيدا قبل غروب الشمس، ثمّ بلغت ثييا ليلاً، وأخيراً عبرت على مقربة من إيلييا؛ فهذه الأماكن تقع إلى الجنوب من إيلييا: ثييا أولاً، ثمّ خالكيدا، وكروني، وبعد ذلك بيلوس التريثيلية وساميك. فتلك هي الطريق البحرية إذا أبحرت جنوباً انطلاقاً من بيلوس إيليا. أمّا إذا أبحرت شمالاً حيث تقع إيثاكا، فإن هذه الأماكن كلّها تبقى وراءك، وينبغي أن تبحر على مقربة من إيليدا نفسها قبل غروب الشمس، مع أن الشّاعر يقول، بعد غروب الشمس. وحتّى لو افترضنا أن بداية الإبحار من بلاد نسطور كانت انطلاقاً من بيلوس الميسينية أو الكورونثية، فإن المسافة سوف تكون كبيرة ويتطلب اجتيازها زمناً أكثر. وفي الأحوال كلّها فإن المسافة إلى بيلوس التريثيلية ومعبد بوسيدون الساميسي 400 مرحلة، ولا تسير المرحلة الأولى من الإبحار «قرب كروني وخالكيدا» وثييا (وهي أسماء أنهار صغيرة أو على الأرجح جداول لا أهمية لها)، إنّما قرب نيدا، ثمّ على مقربة من أكيدون، وألثييوس والأماكن الواقعة بينهما. وينبغي أن نذكر لاحقاً هذه الأماكن مرّة أخرى، لأنّ الإبحار كان على مقربة منها فعلاً.

28- وعلاوة على هذا كلّه، فإنّ رواية نسطور عن الحرب بين البيلوسيين والإيليين، التي عرضها باتروكلس تصبّ في صالح ما حاولت أن أبيّن صحّته، إذا ما أمعنا النظر في أبيات الشّاعر بانتباه. فالشّاعر يقول فيها: كان هرقل قد نهب الأرض البيلوسية من قبل ودمّرها، وأن شبابها كلّه أبيد[45]؛ ولم يبق من أبناء نيلييوس الاثني عشر على قيد الحياة إلا نسطور[46] (الذي كان فتى صغيراً عندئذٍ)[47]؛ لقد نظر الإيبيون إلى نيلييوس نظرة استخفاف، لأنه كان شيخاً مسناً ووحيداً، وأخذوا يتعاملون مع البيلوسيين بغطرسة ووقاحة. وفي سعيه للثأر من هذا التعامل الفظ، جمع نيلييوس قدر ما استطاع من أبناء شعبه، وهاجم إيليدا، كما يقول الشاعر، واستولى على غنيمة كبيرة:

قطيع من خمسين من الأغنام، ومثلها من الثيران،

ومثلها من الخنازير...

(الإلياذا XI، 678)

ومثلها من قطعان الماعز، و

... مئة وخمسين من الأفراس

وكلّها مهرات...

(الإلياذا XI، 679)

وأكثرها معها صغارها.

هذه الغنيمة الكبيرة سقناها كلّها إلى داخل المدينة ليلاً،

قال نيلييوس،

إلى بيلوس نيلييوس

(الإلياذا XI، 682)

وهو يقصد بهذا، أن الاستيلاء على الغنيمة، وتحوّل الذين جاؤوا للمساعدة إلى أناس أغنياء (عندما قتل إيتيمونيوس، كما قال)، قد حدث نهاراً، أمّا العودة فقد كانت ليلاً، أي أن الوقت كان ليلاً حينما عادوا إلى المدينة. وبينما كان البيلوسيون يتقاسمون الغنيمة ويقدّمون الذبائح، كان الإيبيون قد اجتمعوا في اليوم الثالث[48] بأعداد كبيرة، مشاة وفرساناً، وهاجموا العدو ونصبوا معسكرهم عند ثريون الواقعة على نهر ألثييوس. ولما علم البيلوسيون بذلك، خفّوا لتقديم العون؛ فأمضوا الليل عند نهر مينييوس غير بعيد عن أرينا وجاؤوا من هنا إلى ألثييوس «تحت قبة السماء»، أي عند منتصف النهار. وبعد أن قدموا الذبائح باتوا ليلتهم عند النهر، وعند بزوغ الفجر تماماً بدؤوا المعركة؛ وإذ حقّقوا فيها نصراً باهراً وهزموا أعداءهم، لاحقوهم من فورهم يقتلونهم حتّى وصلوا بوبراسوس،

حيث الصخرة الأولينية والتل المسمّى أليسيوس.

من ميدانهم ردت بالادا البيلوسيين على أعقابهم

(الإلياذا XI، 757)

وبعد ذلك بقليل يواصل الشّاعر قائلاً:

... والرجال الآخيون

ردّوا الجياد السريعة على أعقابها

من بوبراس إلى بيلوس.

(الإلياذا XI، 759)

29- إذن، كيف يمكن انطلاقاً من هذا كلّه أن نفترض أن الشّاعر يقصد هنا إلى بيلوس إيلييا أو بيلوس الميسينية؟ فهو لا يقصد إلى بيلوس إيلييا: إذا كان هرقل قد نهب هذه البيلوس، فهذا يعني أنه جرى في الوقت نفسه نهب منطقة الإيبيين؛ لكنّ

obeikandl.com

هذه إيليدا. فكيف يمكن لأناس نهبت أرضهم معاً، وينتمون إلى القبيلة عينها، أن يبلغ تعاملهم مع من تعرضوا وإياهم للمهانة، هذه الدرجة من الغطرسة والوقاحة؟ كيف يمكنهم أن ينهبوا وطنهم ويسلبوا أرضهم؟ وكيف استطاع أفغيوس ونيلييوس أن يحكما معاً الشعب نفسه إذا كان كلّ منهما عدواً للآخر؟ وإذا كان لنيلييوس

دين كبير وقديم على إيليدا المقدّسة:
أربعة جياد غراء ظافرة في السباق، مع مركبتها،
رامحة لتسابق، ومكافأة السباق محمل ثلاثي القوائم،
لكنّ حاكم الشعب أوجياس انتزعها بوقاحة، وطرد
حوذي الجياد حزيناً.

(*الإلياذا* XI، 698)

وإذا كان نيلييوس قد عاش هنا، فيجب أن يكون نسطور قد عاش هنا أيضاً. فكيف استطاع الشّاعر أن يقول عن الإيليين والبوبراسيين، إن

أربعة زعماء كانوا يقودونهم، وخلف كلّ واحد عشر
سفن سريعة تبحر، وعساكر كثر من الإيبيين.

(*الإلياذا* II، 618)

وكذلك البلاد انقسمت إلى أربعة أجزاء؛ ولكنّ نسطور لم يكن يحكم أي جزء منها، لكنّه كان ملكاً على

الرجال الذين في بيلوس كانوا يعيشون، وفي
أرينا السعيدة يقطنون،

(*الإلياذا* II، 591)

وساد على المناطق وصولاً حتّى ميسينا. ومن جهة أخرى كيف تمكن الإيبيون الذين بدورهم هاجموا البيلوسيين، من التغلغل حتّى ألثييوس وثريون؟ وكيف نجحوا بعد المعركة وهم مهزومون مدمّرون في أن يهربوا إلى بوبراس؟ وأيضاً، إذا كان هرقل قد خرب بيلوس الميسينية، فكيف تمكن أناس يعيشون بعيداً عن الميسينيين، كما هي حال الإيبيين، إن يلحقوا بهم الإهانة، وكيف يمكن للإيبيين الذين لهم علاقات تعامل واسعة أن يخدعوهم ولا يؤدون لهم ديونهم، بحيث اشتعلت الحرب من أجل هذا أيضاً؟ ثمّ كيف تمكن نسطور الذي توجه لينهب بلاداً ويستولي على غنيمة مؤلّفة من خنازير وأغنام (ولا يمكن لمثل هذه الحيوانات أن تتحرك بسرعة إلى مسافات بعيدة)، أن يقطع رحلة تتجاوز 1000 مرحلة ليصل إلى تلك البيلوس التي تقع عند كوريفاسوس؟ ولكنّهم

في اليوم الثالث يصلون كلّهم[49]، إلى ثريوسا ونهر ألثييوس ليحاصروا القلعة! كيف يمكن أن تكون هذه الأماكن لحكّام ميسينا إذا كان يملكها الكافكونيون، والتريثيليون، والبيساتيون؟ وفيما يخصّ هيرين أو هيرينا (لأن هذه الكلمة تكتب بالوجهين)، فقد يكون بعضهم دعاها بهذا الاسم عامداً، مع أنها ربّما تكون قد دعيت به مصادفة. وعلى وجه العموم، بما أن ميسينا عدت[50] تحت سلطة منيلايوس، وكذلك لاكونيكا (يتّضح هذا من العرض الذي يلي)[51]، وباميس ونيدون يجريان عبر ميسينا، وألثييوس لا يلامسها في أي مكان (ألثييوس،

الذي تجري مياهه واسعة عبر الأرض البيليسية

(الإلياذا V، 545)

التي كان يسود عليها نسطور)، فأي مصداقية يمكن أن تكون للخبر الذي يرغم نسطور على أن ينزل في مملكة غريبة، وينتزع منها مدناً تنسب إليها في «سجل السفن»، ويخضع هذه الأماكن كلّها لمنيلايوس؟

30- بقي لي أن أتحدّث عن أوليمبيا، وعن انتقال السيادة على البلاد كلّها إلى الإيليين. ففي بيساتيدا معبد على مسافة أقل من 300 مرحلة عن إيليدا. ويقع أمامه دغل من شجر الزيتون البري فيه ميدان للتمارين والمباريات الرياضية. وعلى مقربة من المعبد يجري نهر ألثييوس الذي يبدأ في أركاديا، ويجري بين الغرب والجنوب في البحر التريثيلي. وفي بادئ الأمر حظي المعبد بشهرة واسعة بفضل موْحى زيوس الأوليمبيي؛ إلا أنه مع ذلك، وبعد أن توقف المتنبّئ عن إعطاء إجابات على أسئلة الناس، حافظ المعبد على مجده وضاعفه، وهذا ما نعرفه من الاحتفال الشعبي العام، ومن الألعاب الأوليمبيبة، حيث كانت مكافأة الفوز إكليلاً؛ وكانت هذه الألعاب ألعاباً مقدّسة، كما كانت الألعاب الأعظم في العالم. لقد زين المعبد بكثير من التقدمات التي جاءت من مختلف أرجاء اليونان. ومن هذه التقدمات تمثال زيوس المصنوع من الذهب الذي قدمه كيبسيل، تيران كورينثوس. ولكنّ الأكثر قداسة بين التقدمات، هو تمثال زيوس الذي صنعه ثيديوس الأثيني ابن هارميدس؛ وقد صنع هذا التمثال من العاج، وهو ضخم إلى درجة أنه مع أن المعبد كان رحباً جداً، إلا أنه بدا كأن الفنان أخل بالمقاييس، لأنه صوّر زيوس جالساً ومع ذلك تكاد رأسه تلامس سقف المعبد، وعلى هذا النحو ينشأ انطباع بأنه لو استقام زيوس ووقف على قدميه لاخترق رأسه سقف المعبد. وقد وصف بعض الكتّاب أبعاد التمثال، فضمّنها كاليماخ قصيدة من القصائد اليامبية. وقدم الرسام بانين ابن أخت ثيديوس ومعاونه، مساهمة كبيرة في تلوين

التمثال، خاصة تلوين ملابسه وزخرفتها. ويعرض هنا عند المعبد كثير من اللوحات الرائعة التي رسمها بانين. ويروى أن بانين سأل ثيديوس وفق أي نموذج سيصنع صورة زيوس، فأجابه: وفق النموذج الذي ورد عند هوميروس في أبيات الشعر التالية:

أنهى كلامه، وفي إشارة أومأ زيوس بحاجبيه الأسودين:

ردّ مسرعاً، شعره المطيّب إلى الأعلى، فاستقامت رأس كرونيدس الخالدة، واهتزّ الأوليميب بتلاله الكثيرة.

(*الإلياذا* I، 528)

وواقع الحال أن هذا الوصف يبدو بارعاً، إن لجهة التفاصيل الواردة في هذا المقطع، أو لجهة «الحاجبين»، لأنّ الشّاعر يرغم مخيّلتنا على أن ترسم في الذهن صورة قوية موحية، وقوة خارقة تليق بزيوس، فعلى النحو الذي تعامل به مع هيرا، إذ التزم في الحالتين ما ينبغي على أيّ كان أن يراعيه، فقد قال عن هيرا:

تململتْ على العرش، فاهتزَّ الأوليميب بتلاله الكثيرة.

(*الإلياذا* XIII، 199)

إن ما وقع في حالة هيرا نتيجة لحركة جسدها كلّه، أحدثه زيوس بإيماءة من حاجبيه، مع أن شعره أيضاً تحرك بدرجة ما. وما قيل عن الشّاعر إنه «وحده رأى، أو أظهر صور الآلهة»، يتسم بذكاء حاد. إن الإيليين يستحقون أكثر من الآخرين كلّهم أن يعدوا متفضّلين بروعة المعبد الأوليميبي والتبجيل الذي حظي به. ففي زمن حرب طروادا، أو حتّى قبل ذلك، لم يكن الإيلييون قد حقّقوا أي نجاح يذكر، ففي بادئ الأمر كان البيلوسيون يضطهدونهم، وفيما بعد اضطهدهم هرقل، حينما أطيح بملكهم أفغيوس. والبرهان على هذا، هو الآتي: لم يرسل الإيلييون إلى شواطئ طروادا سوى 40 سفينة، بينما أرسل البيلوسيون ونسطور 90 سفينة. ولكن فيما بعد، بعد عودة الهيراقليين، حدث العكس، لأنّ الإيثوليين الذين عادوا مع الهيراقليين بقيادة أوكسيل، سكنوا مع الإيبيين الذين كانت تربطهم بهم أواصر قرابة قديمة، وجعلوا كيلي إيليدا أكثر قوة، إذ استولوا على شطر كبير من بيساتيدا، كما أخضعوا أوليميبيا لسلطانهم. وعلاوة على ذلك، فإن الألعاب الأوليميبية من ابتكارهم، فهم أوّل من احتفل بأول أوليميبياد، ولذلك ينبغي أن نستبعد الروايات القديمة عن إنشاء المعبد وتأسيس الألعاب؛ ويرى بعضهم أن هرقل، أحد الداكتيلوس الإيديين، هو مؤسّس هذه الألعاب، بينما يرى آخرون أن مؤسّسها، هو هرقل ابن زيوس وألكميني الذي كان أوّل من شارك في الألعاب وأحرز الفوز فيها؛ فهذه الروايات تروى بطرائق مختلفة، بيد أنه

ينبغي ألا نمنحها كثيراً من الثقة. فالأقرب إلى الحقيقة أن نقول، إنه من الأوليمبياد الأول (الذي فاز فيه كوريبوس بسباق العدو) حتّى الأوليمبياد 26 كانت إدارة المعبد وقيادة الألعاب في أيدي الإيليين. ولكن، في زمن حرب طروادا إمّا لم تكن الألعاب التي كانت مكافأة الفوز فيها إكليل قد وجدت بعد، أو أنها لم تكن قد باتت شهيرة عندئذٍ، أي لم يكن ثمّة ألعاب أوليمبية، ولا أي ألعاب أخرى من تلك تشتهر الآن[52]، فهوميروس لم يأت على ذكر أي من هذه المباريات، مع أنه يذكر نوعاً آخر من الألعاب ألعاب الجنازات[53]. ولكنّ بعضهم يظنّ أنه يذكر الألعاب الأوليمبية عندما يقول، إن أفغيوس سلب الحوذي «أربعة جياد ظافرة جاءت إلى المباراة»[54]. ويقولون، إن البيساتيين لم يشاركوا في حرب طروادا، لأنهم عدوا مكرّسين لزيوس. ولم تكن بيساتيدا التي تقع فيها أوليمبيا خاضعة حينئذٍ لأفغيوس، إذ لم تكن تخضع له سوى إيلييا؛ والألعاب الأوليمبية لم تنظّم يوماً في إيلييا، بل دائماً في أوليمبيا. ومن الواضح أن الألعاب التي سقت قبل قليل اقتباساً عنها من هوميروس، قد أقيمت في إيليدا، حيث كان على نيلييوس أن يحصل ديناً هناك:

دين كبير وقديم على إيليدا المقدّسة:
أربعة جياد غرّاء ظافرة في السباق...

(الإلياذا XI، 698)

ولم تكن هذه الألعاب، هي الألعاب التي مكافأتها إكليل (فالجياد كانت ستشارك في سباق مكافأته محمل ذو ثلاث قوائم)، كما كان عليه الأمر في أوليمبيا. وبعد الأوليمبياد 26 استرد البيساتيون بلادهم، وأخذوا يقيمون الألعاب بأنفسهم، لأنهم رأوا أن المباريات تحظى بالاحترام والتشريف. وفي زمن متأخر وقعت بيساتيدا مرّة أخرى تحت سيطرة الإيليين، فعادت قيادة الألعاب إلى هؤلاء من جديد. وبعد أن أخضع اللاكيديمونيون الميسينيين نهائياً، مدوا يد العون للإيليين الذين حاربوا معهم كحلفاء ضدّ الأركاديين وأحفاد نسطور الذين اتحدوا مع الميسينيين. وقد قدم لهم اللاكيديمونيون عوناً كان على درجة كبيرة من الأهمية، إذ باتت البلاد كلّها حتّى ميسينا تدعى إيليدا، وقد بقي هذا الاسم حتّى يومنا هذا، بينما لم يبق حتّى مجرّد اسم للبيساتيين، والتريفيليين، والكافكونيين. لقد هجّر الإيليون سكّان بيلوس «الرملية» إلى لابريوس إرضاء للابريوسيين الذين انتصروا في الحرب ودمّروا كثيراً من القرى الأخرى، وفرضوا الإتاوات على كلّ من رأوا لديه ميلاً نحو الاستقلال.

31- قبل كلّ شيء حظيت بيساتيدا بشهرة واسعة بفضل حكّامها الذين

كانوا أقوياء جدّاً: إينومايوس ووريثه بيلوبس، وأبناء هذا الأخير الكثيرون. ويقال إن سالمونيوس[55] قد ملك هنا أيضاً، وعلى أي حال فإن واحدة من المدن الثماني التي انقسمت إليها بيساتيدا، كانت تدعى سالمونا. ولهذه الأسباب، إضافة إلى وجود معبد أوليمبيا، حظيت هذه البلاد بشهرة عظيمة. ولكن ينبغي علينا إذ نسمع روايات غريبة، أن نأخذها بتحفظ، لأنها لا تحظى بقبول عام؛ فالكتّاب المتأخرون يأخذون بالرؤى الجديدة في كثير من المسائل، بل يطلقون أحكاماً تناقض ما أخبر به القدماء؛ فهم يزعمون مثلاً، أن أفغيوس كان حاكماً على بيساتيدا، وأن إينومايوس وسالمونيوس حكما على إيليا؛ وبعضهم يوحد هذه القبائل، وعلى وجه العموم ينبغي ألا نأخذ إلا بما يحظى بقبول من قبل جميعهم. وواقع الحال، هو أنه ليس ثمّة اتفاق بين الكتّاب حتّى على الاسم الأول الذي حملته «بيساتيدا»؛ فبعضهم يشتقه من اسم مدينة بيسا، سمية أحد الينابيع؛ وعلى حدّ قولهم أن الينبوع كان يدعى «بيسا»، وهذا ما يتوافق مع تسمية Pistra، أي Potistra[56]؛ ويحدّد هؤلاء المكان الذي كانت تقوم عليه المدينة فوق مرتفع بين أوسّا والأوليميب، سميّا جبلين في تساليا. أمّا الآخرون فيزعمون، أنه لم يكن هناك وجود لمدينة اسمها بيسّا (لأنه لو كان لها وجود لكانت واحدة من المدن الثماني)، بل كان هناك ينبوع يدعى الآن بيسا، وهو يقع عند كيكيسوس، المدينة الأكبر بين المدن الثماني؛ ويقول هؤلاء، إن ستيسيخور يدعو المنطقة التي تسمى بيسّا «مدينة»، مثلما يدعو هوميروس «مدينة ماكارا»[57] ليسبوس، أمّا يوريبيدس فيقول في «إيون»:

إيبيوس التي تجاور أثينا

(إيون، ص 294)

ويقول في «رادامانثوس»:

من يمتلك إيبيوس، المدينة- الجارة؛

(مقطع 658، ناؤوك)

ويقول سوفوكليس في «الميسينيين»:

البلاد كلّها تنادي، أيّها الرحالة أسيوس.

مدينة الميسينيين وحدها دعيت ميسينا.

(مقطع 377، ناؤوك)

32- تقع سالمونا غير بعيد عن ينبوع يحمل الاسم عينه، ومنه ينبجس إينيبييوس. ويصبّ هذا النهر في ألثييوس [وهو يحمل الآن اسم مارنيخوس][58]. ويروون أن تيرو أحبّت إينيبييوس:

جعلت تيرو قلبها أسيراً لدى إينيبييوس الإلهي.

(الأوذيسا XI، 238)

لأنــه يقــال، إن والــدها ســالمونيوس كــان ملكــاً، كمــا يقــول يوريبيــدس في «إيول»[59]. أيضاً. (بعضهم يكتب اسم إينيبييوس، وهـو نهـر في تساليا، «إينيسييوس»؛ ويجري هذا من جبل أوفريا ويستقبل تيار أبيدان الذي يجري من فارسال). وعلى مقربة من سالمونا تقع هيراقليا، وهي واحدة من المدن الثماني؛ وتبعد عن أوليمبيا ما يقارب 40 مرحلة، وهي قائمة على نهر كيفيروس، حيث يقع معبد الحوريات اليونيادس، اللواتي يظنّون أنهنّ يداوين الأمراض بالماء[60]. وعلى مقربة من أوليمبيا تقع أربينا، وهـي إحدى المدن الثماني أيضاً، وعبر منطقتها يجري نهر بارفينيوس على الطريق التي تقود إلى فيربيا. وتقع فيربيا في أركاديا فوق ديميـا، وبوبراس، وإيليدا، أي إلى الشمال من بيساتيدا. وهنا تقع كيكيسوس، واحدة من المدن الثماني، وديسبونتوس الواقعة في سهل على الطريق من إيليدا إلى أوليمبيا؛ لكنّ المدينة دمّرت، وهاجر أكثر سكّانها إلى إيبيدامنوس وأبوللونيا. كما يقع جبل فولويا الأركادي فوق أوليمبيا، وهو قريب جداً منها بحيث تقع سفوحه في بيساتيدا. إن بيساتيدا كلّها، والشطر الأكبر من تريثيليا يجاوران أركاديا؛ وتبعاً لهذا على أغلب الظنّ، يُعدّ الشطر الأكبر من منطقة بيلوس المذكورة في «سجلّ السفن»[61]، أركاديا؛ ولكنّ العارفين بحقائق الأمور يرفضون هذا، فهم يؤكّدون أن أريمانثوس، وهو أحد الأنهار التي تصبّ في ألثييوس، يشكّل حدود أركاديا، وأن هذه المناطق تقع وراء نهر أريمانثوس.

33- يقول إيثور، إن إيثول بعد أن طرده سالمونيوس ملك الإيبين والبيساتيين من إيليبا إلى إيثوليا، دعا هذه البلاد باسمه ووحّد مدنها. وأن أوكسيل خليفة إيثول وصديق تيمينوس والهيراقليين الذين كانوا يرافقونه، قد أرشدهم إلى الطريق لدى عودتهم إلى البيلوبونيز، ووزّع عليهم شطراً من البلاد التي كانت للأعداء، وقدم لهم نصائح بخصوص الاستيلاء على البلاد. وعرفاناً منهم بهذا الجميل أذنوا له بأن يعود إلى إيليدا، أرض أجداده؛ فجمع قوات وعاد إلى إيثوليا ليهاجم الإيبيين الذين كانوا يمتلكون إيليدا؛ ولكن لمّا خرج الإيبيون لملاقاته بالسلاح، وظهر أن قوى الخصمين متساوية، نحا الجانبان نحو المبارزة عملاً بالتقليد الإغريقي القديم، فخرج الإيثولي بيريكموس ليصارع الإيبي ديغمينوس. وكان هذا الأخير مسلّحاً تسليحاً خفيفاً: بالقوس فقط، إذ ظنّ أنه سيهزم خصمه المسلّح تسليحاً ثقيلاً، بسهم يرميه به من مسافة بعيدة؛ لكنّ بيريكموس أدرك خبث خصمه، فحمل معه مقلاعاً وجراباً مليئاً بالحجارة (لحسن

المصادفة أن الإيثوليين كانوا قد ابتكروا المقلاع لتوّهم). وبما أن المقلاع أظهر أنه سلاح أبعد مدى، فقد سقط ديغيموس قتيلاً وطرد الإيثوليون الإيبيين وامتلكوا البلاد؛ كما نالوا أيضاً حق إدارة شؤون معبد أوليمبيا (الذي كان عندئذٍ بين أيدي الآخيين)؛ وبفضل الصداقة التي كانت تربط بين أوكسيل والهيراقليين، حصل الإيثوليون بسهولة على موافقة جميعهم التي رسختها تأدية القسم، بأن تبقى إيليبيا مكرّسة لزيوس، وأن كلّ من يهاجم هذه البلاد سيكون ملعوناً، وأن كلّ من لا يأتي لمساعدتها حسب قدراته، سيكون ملعوناً كذلك. ولذلك ترك مؤسّسو مدينة الإيليين مدينتهم التي بنوها فيما بعد، من غير أسوار، وكلّ من كان يعبر البلاد بجيوشه كان يسلّم أسلحته ثمّ يستردها عندما يخرج منها. وقد أنشأ إيثيتوس الألعاب الأوليمبية، فالإيلييون باتوا الآن شعباً مقدّساً. وتبعاً لهذه الظروف حقّق سكّان إيليدا مستوى عالياً من الازدهار، لأنه في الوقت الذين كانت فيه القبائل الأخرى يقاتل بعضها بعضاً، كان الإيلييون يعيشون بسلام، بل عاش بسلام معهم أيضاً الغرباء [الذين كانوا يقيمون بين ظهرانيهم]، وهكذا غدت بلادهم البلاد الأكثر سكّاناً بين البلاد الأخرى كلّها. لقد فاق ثيدون الآرغوسي، الخليفة العاشر لتيمينوس، حكّام زمنه الآخرين كلّهم قوة (واعتماداً على هذه القوّة استردّ تركة تيمينوس كلّها التي كانت قد تبعثرت إلى أجزاء، وابتكر معايير دعيت موازين ثيدويس، وسك عملة نقدية من الفضّة والمعادن الأخرى). وعلاوة على ذلك هاجم ثيدون المدن التي كان قد استولى عليها هرقل في زمن مضى، وطالب بحق تنظيم الألعاب التي كان قد أسّسها هرقل، وزعم أن الألعاب الأوليمبية كانت بين هذه الأخيرة. وبعد ذلك هاجم ثيدون إيليبيا ونظّم الألعاب بالقوّة؛ وبما أن الإيليين لم يمتلكوا أيّ أسلحة بسبب عهد السلام الذي أعطي لهم، فقد عجزوا عن مواجهة ثيدون، أمّا الآخرون فقد خضعوا لسيطرته. ولكنّ الإيليين لم يدرجوا المباريات التي نظّمها ثيديون في السجلاّت الرسمية؛ وقد ساعد اللاكيديمونيون الإيليين إمّا لأنهم حسدوهم على الازدهار الذي حقّقه لهم السلام، وإمّا لأنهم ظنّوا أنهم سيجدون فيهم حلفاء لهم في سعيهم لتدمير قوّة ثيدون (لأن ثيدون سلبهم سيطرتهم التي كانت لهم على البيلوبونيز)؛ وقد ساعدهم الإيلييون فعلاً لوضع حدّ لجبروت ثيدون؛ وبدورهم ساعد اللاكيديمونيون الإيليين لامتلاك بيساتيدا وتريثيليا. ويبلغ طول المعبر الممتدّ على طول سواحل إيليبيا الحالية، من غير حساب الخلجان، حوالي 1200 مرحلة[62]. تلكم هي معطياتي عن إيليدا.

الفصل الرابع

1- وتجاور ميسينا إيليدا؛ لكنّ شطرها الأكبر يتّجه نحو الجنوب والبحر الليبي. وفي زمن حرب طروادا، عدت هذه البلاد تحت سلطة منيلايوس، لأنها كانت جزءاً من لاكونيكا وكانت تسمى ميسينا؛ لكنّ المدينة التي تحمل الآن اسم ميسينا التي لم تكن إيثوما أكروبولها قد تأسّست بعد[1]؛ وبعد موت منيلايوس، عندما ضعفت قوة خلفائه حكّام لاكونيكا، غدا النيليديون يحكمون في ميسينا. فأثناء عودة الهيراقليين واقتسام البلاد، كان ميلانثوس هو ملك الميسينيين الذين كان لهم استقلالهم عندئذٍ، مع أنهم كانوا قبل ذلك من رعايا منيلايوس والبرهان على ذلك هو الآتي: المدن السبع التي وعد آغاممنون أن يمنحها لأخيلليس، كانت تقع على خليج ميسينا والخليج الأسيني المجاور له، وقد دعي باسمه هذا نسبة إلى أسينا الميسينية؛ ومثل هذه المدن:

مدينة كارداميلا، وإينوبا، وهيرا الغنية بالأعشاب،
وثيرا المحببة للسماء، وآنفيا بواديها العميق، وبيداس
المكلّلة بالعناقيد، وإيبيا المدينة الرائعة.

(*الإلياذا* IX، 150)

ومن الواضح أن آغاممنون ما كان ليعد بمنح مدن ليست له ولا لأخيه. ويشير الشّاعر بوضوح إلى أن رفاق منيلايوس كانوا من ثيرا[2]؛ كما يدرج في اللائحة اللاكونية مدينة إيتيل[3] التي تقع عند خليج ميسينا. وتقع منطقة ميسينا وراء تريثيليا؛ وثمّة رأس بحرية هناك مشتركة بين المنطقتين، تليها كيباريسيا وكوريفاسيوس. وفوق كوريفاسيوس، والبحر، على بعد 7 مراحل يقع جبل إيغاليوس.

2- وعلى هذا النحو فإن بيلوس الميسينية القديمة كانت مدينة واقعة على سفوح جبل إيغاليوس؛ وبعد أن دمّرت المدينة انتقل عدد من سكّانها ليسكن على رأس كوريفاسيوس البحرية؛ ولما أبحر الأثينيون بقيادة إيفريميدونت وستراتوكليس[4] في حملتهم الثانية إلى صقليا، أعادوا بناء المدينة وجعلوا منها موقعاً حصيناً في مواجهة اللاكيديمونيين. وتقع هنا أيضاً كيبارسيا الميسينية، وجزيرة تدعى بروتا، وجزيرة أخرى تدعى سفاغيا واقعة قبالة الشاطئ على مقربة من بيلوس (وتدعى هذه الجزيرة أيضاً باسم سفاكتيريا)، وقد فقد اللاكيديمونيون عندها 300 أسير من خاصتهم أرغمهم الحصار على الاستسلام للأثينيين[5]. وقبالة شاطئ الكيباريسيين، في عرض البحر، تقع جزيرتان تحملان اسم ستروفادس؛ وتبعد هاتان عن البر قرابة 400 مرحلة في

البحر الليبي والبحر الجنوبي. ويقول ثوكيديدس[6]، إن هذه البيلوس كانت محطة شراعية للميسينيين، وهي تبعد عن إسبرطا 400 مرحلة.

3- ثمّ تأتي ميثونا. ويقال إن هذه واحدة من المدن السبع (لقد دعاها هوميروس بيداس)[7]، التي وعد آغامنون أخيلليس بها. وفي حرب إكسيوم[8] استولى أغريبا على هذا المكان بهجوم من البحر، وقتل فيه بوغخ ملك الماوروسيين الذي كان يقف إلى جانب أنطونيو.

4- وتجاور رميثونا[9] أكريتوس التي تعدّ بادئة الخليج الميسيني. وهناك من يدعو هذا الخليج بالخليج الأسيني أيضاً، نسبة إلى أسينا، وهي أوّل مدينة في الخليج وسمية المدينة الهيرميونية. وبهذا تشكّل أسينا بداية الخليج من جهة الغرب، بينما يشكّل بدايته الشرقية مكان يدعى ثيريدس يجاور ذلك الجزء من لاكونيكا المعاصرة الذي يقع قرب كينيثيوس وتينار. وبين أسينا وثيريدس، ابتداء من ثيريدس تقع إيتيل (التي يدعوها بعضهم بيتيل)، تليها ليفكترا، مستعمرة ليفكترا في بيوتيا؛ وتأتي بعدها كارداميلا الواقعة على جرف صخري، أي أن الطبيعة هي التي حصنتها؛ تليها ثيرا التي تجاور فوريا وهيرينا، وهي المكان الذي تلقى منه نسطور صفة «الهيريني»، لأنه نجا من الموت هنا، كما كنت قد قلت سابقاً[10]. وفي هيرينا معبد أسكليبوس التريكي، وهو نسخة طبق الأصل عن المعبد الذي يقوم في تريكا التسالية. ويروى أن بيلوس بعد أن أعطى أخته زوجة لأمفيون، أسّس ليفكترا، وهارادرا، وثالاما (تدعى الآن بيوتا)، مصطحباً معه من بيوتيا عدداً من المستعمرين. ويقع عند ثيرا مصبّ نهر نيدون؛ ويجري هذا النهر عبر لاكونيكا، وهو يختلف عن نهر نيدا. وفي مكان ما هنا يقع معبد أثينا نيدوسيا الشهير. وفي بياسا أيضاً يوجد معبد لأثينا نيدوسيا، وقد حملت هذا اللقب نسبة إلى مكان ما يحمل اسم نيدون الذي يقال، إن تيليكلوس استعمر بياسا، وإيخي وتراغيوس انطلاقاً منه.

5- ومن المدن السبع التي وعد آغاممنون أخيلليس بها، كنت قد تحدّثت سابقاً عن كارداميلا، وثيرا، وبيداس. أمّا فيما يخصّ إينوبا[11] فإن بعضهم يقول، إن هذه هي بيلانا[12]، ويرى فيها بعضهم الآخر مكاناً ما عند كارداميلا، وحسب فريق ثالث إن هذه هي هيرينا نفسها. وفيما يخصّ هيرا، فإنهم يشيرون إلى موقعها عند جبل يقع عند ميغالوبوليس في أركاديا، على الطريق التي تقود إلى أندانيا، وهي المدينة التي قلت سابقاً[13]، إن الشّاعر دعاها إيخاليا؛ ولكن، على حدّ قول بعضهم، إن ميسولا المعاصرة هي التي دعيت هيرا، وتمتدّ ميسولا هذه حتّى الخليج بين تايجين وميسينا.

وتدعى إيبيبيا الآن فوريا، وتجاور، كما قلت من قبل[14]، فارا؛ وهي تقع على هضبة عالية، ومن هنا جاء اسمها [15]. ومن فوريا اشتق اسم الخليج الفوري، وليس في هذا الخليج سوى مدينة واحدة تدعى ريون، وهي تقع قبالة تينار. أمّا أنفيبيا فبعضهم يرى أنها هي فوريا نفسها، كما يرى هؤلاء أن إيبيبيا هي ميثونا؛ لكنّ آخرين يفترضون أنه من بين المدن الميسينية كلّها تتوافق صفة «الغنية بالمروج الزاهية»[16]، أكثر ما تتوافق مع أسينا الواقعة في الوسط، والتي تقع في منطقتها قرب البحر مدينة كورونا؛ ومع ذلك فإنّ الشّاعر دعا كورونا بيداس، على حدّ قول بعضهم:

تقع كلّها على الساحل؛

(الإلياذا IX، 153)

وكارداميلا تقع على شاطئ البحر مباشرة، بينما تقع فارا على بعد 5 مراحل عنه (وفيها محطة شراعية صيفية)، أمّا باقي المدن فهي تقع على مسافات متباينة عنه.

6- وعلى مقربة من كورونا، في وسط الخليج تقريباً، يصبّ نهر باميس في البحر. على يمين النهر تقع كورونا والمدن التي تليها (آخرها باتجاه الغرب: بيلوس، وكيباريسيا، وبينهما إرانا التي أخطأ بعضهم وعدها أرينا)[17]، وعلى يسار النهر تقع فوريا وفارا. وهذا النهر هو النهرالأكبر بين الأنهار على هذا الجانب من إيستم، مع أن طوله لا يزيد على 100 مرحلة ابتداء من منابعه حيث يبدأ مجراه عبر وادي ميسينا، أي عبر ما يسمّى ماكاريا. ويبعد هذا النهر عن مدينة الميسينيين المعاصرة 50 مرحلة[18]. وهناك باميس آخر صغير وصاخب يجري عند ليفكترا اللاكونية؛ وفي زمن فيليب ثار خلاف عليه بين الميسينيين واللاكيديمونيين. وأنا كنت قد تحدّثت عن باميس الذي يدعوه بعضهم أماث[19].

7- وبحسب إيثور أن كريسفونت، بعد أن امتلك ميسينا قسمها إلى 5 مدن؛ وجعل من مدينة ستينيكلار الواقعة في وسط هذه البلاد، عاصمة لها، وأرسل ملوكاً إلى المدن الأخرى: بيلوس، وريون، وميسولا وهياميتيس، وساوى في الحقوق بين الميسينيين كلّهم والدوريين؛ ولكنّ هذه الإجراءات أثارت سخط الدوريين، فألغى كريسفونت قراره، وأعلن أن ستينيكلا وحدها مدينة، وجمع الدوريين كلّهم فيها.

8- وتشبه مدينة الميسينيين مدينة كورينثوس، ففوق كلّ منهما جبل شاهق شديد الانحدار ومحاط بسور، وعلى هذا النحو يكون الجبل بمثابة أكروبوليس المدينة؛ ويدعى أحد الجبلين إيثوما، ويدعى الآخر أكروكورينثوس. ولذلك أرى أن ديميتري الفاروسي قد أصاب إذ قال لفيليب[20] ابن ديميتري ناصحاً إياه بالاستيلاء على

المدينتين إذا كـان يريـد أن يمتلـك البيلوبـونيز: «فبامتلاكـك هـذين القـرنين، تمسـك بـالثور بيـديك الاثنـتين»، وهـو قصـد «بـالقرنين» إلى إيثومـا وأكـروكورينثـوس، وقصـد «بالثور» إلى البيلوبـونيز كلّها. وقـد غـدت هاتـان المـدينتان فعـلاً موضـع نزاعـات، بسـبب موقعيهمـا الملائمـين، فكورينثـوس دمّرهـا الرومـان ثـمّ أعـادوا بناءهـا مـن جديـد[21]. وميسينا نهبها اللاكيديمونيون، لكنّهم أعادوا إحياءها: الطيبيون أولاً، ثمّ فيليب ابن أمينتا بعد ذلك. وبقي الأكروبوليسان غير مسكونين.

9- ويقـع معبـد أرطمـيس في ليمنـا (حيـث يظنّـون أن الميسـينيين أهـانوا الفتيـات اللواتي جئن ليقدّمن الذبيحة)[22]، على الحدود بين لاكونيكا وميسينا، حيث تحتفل القبيلتان معاً بعيد شعبي وتقدمان الذبيحة؛ وبعد إهانة الفتيات، عندما رفض المسينيون تأدية التعويض المرضي، يقال، إن الحـرب اشتعلت. وعلى اسم هـذه الليمنا دعي معبد أرطميس في إسبرطا ليمنيون.

10- ومـع ذلـك غالبـاً مـا يصـل الأمـر عنـدهم حـدّ الحـرب بسـبب انتفاضـات الميسـينيين. وفي أقل تقدير يعلن تيرتيوس في أشعاره أن أوّل استيلاء على ميسينا تم في زمـن الأجـداد؛ والثـاني عنـدما أعلـن الميسـينيون انتفاضـتهم وتحـالفوا مـع الآرغوسـيين، والإيلـيين، والبيسـاتيين، والأركـاديين؛ وقـد اختـار الأركـاديون أريسـتوقراط ملـك أوركومين قائداً لهم، واختار البيساتيون بانتاليونت ابن أومفاليون قائداً لهم؛ وحسب قوله إنه كان في هذا الوقت قائداً للاكيديمونيين في الحرب[23]، لأنه يقول في مرثيته تحت عنوان «إيفنوميا»، إنه وصل إلى هناك

كرونيون نفسه، زوج هيرا الأزلية الجمال،
زيوس، الذي كان أعطى الهيراقليين هذه المدينة.
ومع ناسي تركت أرنيون المفتوحة على الرياح
ودخلت ساحل جزيرة بيلوبس الرحب.

(مقطع 2، بيرغك)

إمّا أن تكون هذه الأبيات منحولة، أو يجب ألا نثق بفيلوكور عندما يقول، إن تيرتيوس أثيني من ديموس أثيدنا، كما يجب أن نتخذ الموقف نفسه من كالليسفين وكتّاب آخرين كثيرين يزعمون أنه جاء من أثينا بطلب من اللاكيديمونيين نزولاً عند إرادة الكاهن المتنبّئ باتخاذ أثيني قائداً لهم. وعلى هذا النحو تكون الحرب الثانية قد وقعت في زمن تيرتيوس؛ ويقولون إنه كانت هناك حرب ثالثة وحرب رابعة[24]، هُزم الميسينيون فيها. ويبلغ طول الإبحار على امتداد سواحل ميسينا، بما في ذلك الخلجان، 800 مرحلة تقريباً.

11- بيد أنني سأتجاوز حدود الاعتدال في عرضي التفصيلي للروايات الشائعة عن هذه البلاد، التي تشكّل الصحراء الشطر الأكبر منها الآن؛ وعلى وجه العموم فإن لاكونيكا نفسها خالية من الناس الآن، إذا ما قورنت بالكثافة السكّانية التي كانت تتوفّر عليها في الأزمنة القديمة؛ فباستثناء إسبرطا، فإن عدد الأماكن هناك حوالي 30 فقط، بينما في الزمن القديم كانت تدعى كما يقولون، «بلاد المئة مدينة»، فقد كانوا يقيمون هنا احتفالاً سنوياً يقدّمون فيه ذبيحة من 100 ثور.

الفصل الخامس

1- يلي الخليج الميسيني الخليج اللاكوني الواقع بين تينار وماليوس الذي ينعطف قليلاً من الجنوب نحو الشرق؛ ثمّ تأتي ثيريدس، الجرف القائم الانحدار الذي تغسله الأمواج، وهي تقع في خليج ميسينا على بعد 130 مرحلة من تينار. وفوق ثيريدس يقع تايجيت، وهو جبل شاهق شديد الانحدار غير بعيد عن البحر؛ وتلامس أجزاؤه الشمالية سفوح الجبال الأركادية، فيتشكّل في الوسط واد، حيث تتجاور ميسينا مع لاكونيكا. وتحت تاريجيت إلى الأسفل، في وسط البلاد تقع إسبرطا، وأميكلا التي يقع فيها معبد أبوللون، كما تقع هنا أيضاً مدينة ثاريدا. وعلى هذا النحو تقع أرض مدينة إسبرطا في منطقة أكثر عمقاً[1]، مع أنها تضم جبالاً داخل حدودها؛ وعلى وجه العموم ليس فيها مستنقعات قط، على الرغم من أن ضاحيتها كانت مستنقعية في الأزمنة القديمة، وقد دعوها ليمنا؛ وكان معبد ديونيسيوس في ليمنا يقوم في مكان رطب، بينما تقع أساساته الآن في أرض جافة. وتقع على منحنى الشريط الساحلي: أولاً، تينار، وهي رأس بحرية تمتدّ داخل البحر وعليها معبد لبوسيدون يقوم في دغل؛ ثانياً، ثمّة كهف على مقربة تروي الأسطورة أن هرقل أخرج عبره كيربيريوس من هاديس. ومن هنا يمتدّ معبر نحو الجنوب يصل حتّى ثيكونت، رأس قورينا البحرية، ويبلغ امتداد هذا المعبر 3000 مرحلة؛ وهنا أيضاً معبر نحو الغرب يصل حتّى باخين، وهي رأس بحرية في صقليا، ويبلغ امتداد هذا المعبر 4600 مرحلة، مع أن بعضهم يرى أن هذا الامتداد 4000 مرحلة فقط؛ ونحو الشرق وصولاً حتّى ماليوس 670 مرحلة؛ وحتّى أونوغناتوس[2]، وهي شبه جزيرة منخفضة على هذا الجانب من ماليوس 520 مرحلة، وأمام أونوغناتوس وقبالتها على مسافة 40 مرحلة تقع كيثيرا، وهي جزيرة فيها ميناء رائعة ومدينة تحمل اسمها نفسه، وفي زمننا هذا جعل إيفريكلس حاكم اللاكيديمونيين منها ملكية خاصة له؛ وتنتشر حول كيثيرا كثرة من الجزر

الصغيرة، وثمّة واحدة بالقرب منها، أمّا الأُخر فأبعد قليلاً؛ وأقصر معبر يجري هنا حتّى كوريك، وهي رأس بحرية في كريت، يشكّل 700 مرحلة.

2- وبعد تينار، إذا أبحرت من أونوغناتوس وماليوس، تأتي مدينة بسامافونت، ثمّ أسينا وهيفيوس، ميناء إسبرطا الواقعة على بعد 240 مرحلة من إسبرطا. ويروى أنهم حفروا هنا محطة للسفن. ويأتي بعد ذلك إيفروت الذي يصبّ في الخليج بين هيفيوس وأكريبا. وحتّى يومنا هذا يجري الإبحار على طول الساحل ما يقارب 240 مرحلة، ثمّ تأتي منطقة مستنقعات فوق الخليج، وقرية تدعى هيلوس[3]. وحسب هوميروس أن هذه كانت في الأزمنة الخالية مدينة:

... عاشوا داخل أسوار أميكلا وفي هيلوس، المدينة الساحلية

(الإلياذا II، 584)

ويقال إن هيلوس بن برسيوس هو الذي بناها. ويقع هنا أيضاً، سهل يدعى سهل ليفكا؛ ثمّ تليه مدينة كيباريسيا الواقعة في شبه الجزيرة؛ وللمدينة ميناء؛ وتأتي بعد ذلك مدينة بويا ثمّ ماليوس والمسافة من أونوغنتاتوس إلى ماليوس 150 مرحلة. وثمّة في لاكونيكا مدينة تدعى أسوبوس.

3- ويقولون إنه يتعذر الكشف عن مكان وجود ميسا في أي مكان كان، وهي واحدة من المدن التي ورد ذكرها عند هوميروس في «سجل السفن»[4]، أمّا ميسويا فلم تكن جزءاً من البلاد، بل جزءاً من إسبرطا نفسها، مثلها مثل ليمنا [....][5]. ويرى بعضهم أن messe صيغة مختصرة لـ messene، لأنّ ميسينا، كما أسلفت القول[6]، كانت جزءاً من لاكونيكا أيضاً. ويسوق الكتّاب أمثلة على الصيغ المختصرة مأخوذة عن هوميروس: maps و kri, do [7] والمقطع التالي أيضاً:

وفي الأثناء كان البطل أفتوميدون والجبّار ألكيمـ ...

بدلاً من ألكيميدون؛ وعن هيسيود الذي يستخدم bri بدلاً من brithy وbriaron؛ وعن سوفوكليس وإيون- rha بدلاً من rhadion؛ وإيبيهارموس- li بدلاً من lian وsyraco بدلاً من syracusai؛ وإيمبيدوكلس[8]- ops بدلاً من opsis[9]:

ops كلاهما يغدو واحداً؛

وعند أنتيماخ:

الـ ops المقدّس لديميترا الإيليفسينية

وalphi بدلاً من alphiton؛ بل إن يوثوريون يستخدم hel بدلاً من Helos[10]؛

تأتي الإماء بالـ eri[11] الأبيض، وفي السلة يضعنه،

ويقول إراتوس peda بدلاً من pedalia[12]:

Peda ضدّ الريح:

ويقـول سـيموس Dodo بـدلاً مـن Dodona. أمّـا بـاقي الأمكنـة الـتي جـاء الشّـاعر علـى ذكرهـا، فبعضـها تـالف تمامـاً، وأخـرى بقيـت آثارهـا؛ وبـدّل فريـق ثالـث التسـميات: أفغيـوس[13] إلى إيغـي، لأنـه لم يعـد لأفغيـوس وجـود في لوكريـدا كلّهـا. وفيمـا يخـصّ لاسـوس، يـروى أن الديوسـكوري حاصـراها يومـاً واسـتوليا عليهـا، فلقبـا بعـد ذلـك باللابيرسيين[14]. وفي مكـان ما يقول سوفوكليس:

أقسم باللابيرسيين، وبإيفروت، الإله الثالث

وبآلهة آرغوس وإسبرطا...

(مقطع 871، ناؤوك)

4- وبحسـب إيثـور أن الهيراقلـيين إيفريسـفين وبـروكليس قـد اسـتوليا علـى لاكونيكـا[15]، وقسـما الـبلاد إلى سـتة أجـزاء، وأسّسـا المدن، وانتقيـا جـزءاً مـن هـذه الأجزاء، وهو أميكلا، وقدماه للشخص[16] الذي سلمهما لاكونيكا ونصح حاكمها الذي كان يملكها، بعد أن عقد معه اتفاقاً، أن يمضي مع الآخيين إلى إيونيا؛ وجعل الهيراقليان من إسبرطا عاصمة لهما، وأرسلا إلى باقي الأجزاء ملوكاً سمحا لهم بسبب ضعف الكثافة السكّانية، أن يقبلوا أن يقيم بينهم الراغبون من الغرباء؛ وقد استغلا لاسوس محطة شراعية لأنها كانت تتوفّر على ميناء ملائمة جدّاً؛ واستخدما إيجيس نقطة انطلاق لتحركاتهما القتالية ضدّ أعدائهما (لأن منطقة إيجيس تجاور مناطق القبائل الطرفية)؛ وجعلا من ثاريدا مقراً للخزنة، لأنها كانت آمنة من الأعداء الخارجيين [....][17]. ومع أن القبائل المجاورة كلّها كانت خاضعة للإسبرطيين، إلا أنها كانت تحظى بالمساواة بحقوق المواطنية، وشغل المناصب العامّة في الدولة؛ وقد دعي هؤلاء بالإيللوت. ولكنّ آجيس ابن إيفريسفين سلبهم هذه المساواة وأمرهم بتأدية الإتاوات لإسبرطا؛ وعلى هذا النحو خضعت القبائل الأخرى كلّها ما عدا الإيليين الذين كانوا يمتلكون هيلوس؛ لكنّ هؤلاء أخضعوا بعد انتفاضتهم، وسقطت مدينتهم عنوة في أثناء العمليات القتالية، وحكم على السكّان بالعبودية مع تحفظ معيّن لم يسمح بموجبه لسيّد العبد أن يمنحه حريته، أو يبيعه إلى خارج البلاد؛ وقد دعيت هذه الحرب حرباً ضدّ الإيللوت. ونحن يمكننا القول، إن آجيس ومساعديه هم من أنشأ مؤسّسة الإيللوت التي بقيت قائمة حتّى فرضت روما سيطرتها على البلاد، فاللاكيديميون كانوا يرون في الإيللوت عبيداً للدولة، وقد فرضوا عليهم الإقامة في أمكنة محدّدة وتأدية أعمال محدّدة.

5- وفيما يتعلّق ببناء الدولة عند اللاكونيين، والتغيّرات التي حصلت عندهم، فإننا نستطيع أن نسقط من دائرة اهتمامنا كلّ ما روي عن ذلك من روايات معروفة، بيد أنه من المفيد أن نذكّر بشيء منها. فيقال مثلاً، إن الآخين الذين جاؤوا مع بيلوبس من ثتييوتيدا ونزلوا في البيلوبونيز قد سكنوا لاكونيكا، وقد أظهروا في أثناء ذلك من البسالة ما جعل البيلوبونيز التي كانت تدعى منذ القدم آرغوس، تدعى الآن آرغوس الآخية؛ ولم تكن البيلوبونيز وحدها التي حملت هذا الاسم، بل حملته على وجه الخصوص لاكونيكا؛ وعلى أي حال، فإن بعضهم يؤوّل قول الشاعر:

أين كان منيلايوس؟

(*الأوذيسا* III، 249)

هل كان في آرغوس الآخية؟

(*الأوذيسا* III، 251)

على النحو الآتي: «أو لم يكن في لاكونيكا»؟ ولكن لدى عودة الهيراقليين، وعندما خان فيلونوم البلاد وباعها للدوريين، نزح الآخيون من لاكونيكا إلى بلاد الإيونيين التي لا تزال حتّى يومنا هذا تدعى آخيا. وسوف أتحدّث عنهم لدى وصفي لآخيا[18]. وفي بادئ الأمر عاش سادة لاكونيكا الجدد حياة متواضعة، بيد أنهم بعد أن عهدوا إلى ليكورغوس ببناء الدولة، حقّقوا تفوّقاً على الآخرين جعلهم وحدهم من الإغريق الآخرين سادة في البر والبحر، وقد حافظوا على سيادتهم على الإغريق حتّى انتزعها منهم الطيبيون أولاً، ثمّ المقدونيون مباشرة بعد هؤلاء. ومع ذلك لم يخضعوا كلياً حتّى للمقدونيين، بل حافظوا على استقلالهم، ودأبوا يصارعون الإغريق الآخرين وملوك مقدونيا على زعامة العالم الإغريقي. وبعد أن هزم الرومان هؤلاء الأخيرين، ألحق اللاكيديمونيون إهانات بسيطة بالقضاة الذين كان يرسلهم الرومان إلى هناك، لأنهم كانوا عندئذٍ تحت سلطة التيران وكانت بنية دولتهم سيّئة؛ وبعد أن أعادوا بناء قواهم، عادوا ليحظوا بالاحترام من جديد وبقوا أحراراً لا يؤدون أي إتاوات، ما عدا الالتزامات التي كانوا يأخذون على عاتقهم تأديتها بملء إرادتهم. لكنّ إيفريلكس أثار سخطهم بسلوكه الفظ واستغلاله السيّئ لصداقته مع قيصر لكي يدعم سلطته عليهم؛ ولكن سرعان ما أخمدت الاضطرابات[19]؛ واستسلم إيفريكلس لقدره[20]، أمّا ابنه[21] فلم يكن بالأصل يميل إلى مثل هكذا «صداقات»[22]. ونجح «اللاكونيون الأحرار»[23] بالحصول على دولة ذات بنية من النمط الجمهوري، لأنّ البيرئيكيين وكذلك الإيللوت[24]، أوّل من انحاز إلى الرومان عندما كانت إسبرطا تحت حكم التيرانية. ويقول غالانيكوس، إن إيفريسفين وبروكلس منحا إسبرطا بناء الدولة؛ لكنّ إيثور

يلوم غالانيكوس على هذا، ويقول إن هذا الأخير لم يأت على ذكر ليكورغوس في أي مكان، وينسب أعماله لأشخاص لا علاقة لهم بها. ويواصل إيثور قائلاً: على أي حال لم يبن الإسبرطيون معبداً إلا لليكورغوس، حيث يقدّمون فيه القرابين كلّ عام؛ ومع أن إيفريسفين وبروكلس هما اللذان أسّسا المدينة؛ إلا أن الإسبرطيين لم يمنحوهما حتّى شرف أن يدعى أحفادهما إيفريسفينيين وبروكلسيين؛ ولكن (بدلاً من هذا) دعي فريق من الأحفاد الملوك آجيسيين، نسبة إلى آجيس ابن إيفريسفين، ودعي الفريق الآخر منهم إيفريبونتيديين، نسبة إلى إيفريبونت ابن بروكلس؛ لأنّ آجيس وإيفريبونت كانا ملكين شرعيين، بينما اعتمد إيفريسفين وبروكلس على الغرباء لترسيخ سلطتهما؛ لذلك لم يمنح هذان الأخيران حتّى لقب «أرخيجيت»[25] الذي كان يمنح لكل من يؤسس مدينة. وبعد أن طرد بافسانيوس[26] بسبب كره الإيفريبونتيديين له، ألّف في منفاه خطاباً عن قوانين ليكورغوس (وكان هذا الأخير ينتمي إلى العشيرة التي طردت بافسانيوس) تحدّث فيه عن النبوءات التي لقنت لليكورغوس بخصوص أكثر قوانينه.

6- وفيما يتّصل بطبيعة إقليمي لاكونيا وميسينا، ينبغي أن نقر بما قاله عنهما يوريبيدس في المقاطع التالية، فعن لاكونيا قال:

فيها كثير من أراضي الحراثة، والعمل ليس سهلاً فيها
تقع عميقاً بين الجبال، إنها بلاد صخرية، لكنّها
عصية على غزوات الأعداء.

أما ميسينا فهي:

... خصيبة، ينابيع الري فيها لا عد لها،
ومراعي الثيران والأغنام وفيرة هناك،
ولا تجعل هبّات عواصف الشتاء منها بلاداً باردة،
ولا تضار منها مركبة ثيب

(مقطع 1083، ناؤوك)

وعندما يشير بعد قليل إلى رمي القرعة الذي أجراه الهيراقليون على البلاد، يقول، إن أوّل قرعة حكمت:

أن تكون الأرض اللاكونية الخصبة التربة، هي السيدة،

وحكمت القرعة الثانية بامتلاك ميسينا،

التي يعجز الكلام عن وصف جمالها؛

(مقطع 1083، ناؤوك)

ووصفتها القرعة الثالثة بهذه السمات نفسها. ولكن ينبغي ألا نوافق يوريبيدس عندما يقول، إن الحدّ بين لاكونيا وميسينا هو:

نهر باميس الذي يندفع نحو البحر،

(مقطع 1083، ناؤوك)

لأن هذا النهر يجري عبر وسط ميسينا، ولا يلامس لاكونيا المعاصرة في أي مكان. وليس يوريبيدس محقّاً عندما يزعم أن ميسينا تقع بعيداً عن طرق البحارة، بينما هي تقع على البحر، مثلها مثل لاكونيا؛ كما أنه يخطئ في تحديد حدود إيليدا:

بعيداً وراء النهر تقع إيليدا،

قريبة من زيوس،

(مقطع 1083، ناؤوك)

وإذا كان يقصد إلى إيليدا المعاصرة التي تتجاور مع ميسينا، فإن نهر باميس لا يلامس هذه المنطقة، كما لا يلامس لاكونيا؛ فهو، كما أشرت هنا، يجري عبر وسط ميسينا؛ أمّا إذا كان الشّاعر يقصد إلى كيلي إيليدا[27] القديمة، فإنه يبتعد عن الحقيقة أكثر بكثير، لأنه بعد عبور باميس، ينبغي عبور شطر صغير آخر من ميسينا، ثمّ كلّ منطقة الليبريين والماكستيين التي دعوها تريثيليا؛ ثمّ تأتي بيساتيدا وأوليمبيا، وبعد 300 مرحلة من هنا تقع إيليدا.

7- وبما أن بعض النقاد[28] يصفون لاكيديمون بأنها ketoessan، ويصفها بعضهم الآخر بأنها kaietaessan، فإن السؤال هو كيف ينبغي أن نفسر ketoessa. هل الكلمة مشتقة من kete[29] أم أن هذه الصفة تعني «الكبير»، وهو الاحتمال الأكثر قرباً من الحقيقة؟ أمّا كلمة kaietaessan فإن بعضهم يفسرها بمعنى «الغنية بالنعناع»، بينما يقول آخرون، إن kaietoi تسمية تطلق على الأخاديد التي تخلّفها الهزّات الأرضية في الأرض، وأنه من kaietoi تشتق kaietas، وهي كلمة يستخدمها اللاكيديمونيون بمعنى «السجن»، الذي يعدّ عندهم مكاناً ما كالكهف. بيد أن بعضهم يفضل أن يدعو مثل هذه الأماكن الكهفية kooi، ومن هنا جاء تعبير:

الوحوش oreskoioi[30]؛

ولاكونيا تتعرض فعلاً لهزّات أرضية متكررة؛ وبحسب بعض الكتاب إن بعض قمم تايجيت قد انقصمت فعلاً. وتقع هنا مقالع لنوع نفيس جدّاً من أنواع حجر المرمر: المقالع القديمة لمرمر تينار، في جبل تينار، ومنذ زمن قريب اكتشف بعض الناس مقلعاً واسعاً في جبل تايجيت، وقد لاقت سلعتهم هذه استحسان محبي البذخ من الرومان.

obeikandl.com

8- وقد أعطى هوميروس إشارة واضحة إلى أن البلاد والمدينة حملتا معاً اسم لاكيديمون (عندما أقول: «البلاد» فإني أضم ميسينا إلى لاكونيا). فعندما يتحدّث هوميروس عن الأقواس:

هذه القوس والسهام أهديت لأوديسيوس منذ
زمن بعيد في لاكيديمون، أهداه إيثيتوس بن
إيفريتوس عندما حل عنده ضيفاً،

(الأوذيسا XII، 13)

ثم يضيف بعد ذلك:

قابل واحدهما الآخر من قبل في ميسينا، حيث
كان عليهما أن يزورا معاً بيت أورتيلوخ...

(الأوذيسا XII، 15)

فإنه يقصد بذلك إلى البلاد التي تشكّل ميسينا جزءاً منها. ولذلك كان سياناً بالنسبة له أن يقول:

أهدي إليه عندما حل منذ زمن بعيد ضيفاً في
لأكيديمون،

أو: **قابل واحدهما الآخر من قبل في ميسينا**

فمن هذا المقطع يتّضح أن ثيرا كانت مسقط رأس أورتيلوخ.

وصل عابرا السبيل [تيليماخ وبسيستراتوس] إلى ثيرا، حيث
كان ديوكليس النبيل.. ابن أورتيلوخ يملك فيها بيتاً...

(الأوذيسا III، 488)

وثيرا تقع في ميسينا. ولكن حينما يقول هوميروس: بعد أن غادر تيلماخ ورفاقه ثيرا

يوماً كاملاً [رمحت الخيل] وعريش المركبة يهتز

(الأوذيسا III، 486)

ثم يضيف:

كانت الشمس في الأثناء قد غابت،
في المدينة الملكية لاكيديمون، التي تحتضنها الجبال(31)**،**
مضى الواصلون إلى بيت الملك منيلايوس، الأتريدس،

(الأوذيسا IV، 1-2)

فإنه ينبغي علينا أن نفترض أنه يقصد هنا إلى المدينة؛ وإلاّ فإنّ الشّاعر يتحدّث عن

وصولهم إلى لاكيديمون من لاكيديمون، وعلى أي حال من غير المعقول ألا يكون مسكن منيلايوس في إسبرطا، وإذا لم يكن هناك، فإنه لأمر عبثي أن يقول تيليماخ:

أريد أن أزور إسبرطا وبيلوس الرملية.

(الأوذيسا II، 359)

ولكنّ حقيقة استخدام هوميروس لصفة البلاد[32] تتناقض بوضوح مع وجهة النظر هذه، وأقسم بزيوس أنهم سوف ينسبون هذا إلى حرية التصرّف الشعرية؛ لأنه كان من الأفضل لو ضمت ميسينا لاكونيا أو بيلوس الخاضعة لسيطرة نسطور، ولم تدرج في «سجل السفن» بصفتها لم تشارك في الحملة على طروادا.

الفصل السادس

1- بعد ماليا يأتي خليج أرغوليدا، ثمّ الخليج الهيرميوني؛ وإذا أبحرت حتّى سكيليا يهيأ لك أن الأوّل يتّجه نحو الشرق تقريباً ونحو كيكلادا؛ أمّا الخليج الثاني فيقع شرقي الأول ويمتدّ حتّى إيجينا وإيبيدافريا. ويشغل اللاكونيون بداية خليج أرغوليدا، ويشغل الآرغوسيون ما تبقى منه. ويقع في المناطق التابعة للاكونيين: ديليون المكرّس لأبوللون، وهو الاسم نفسه الذي تحمله إحدى مناطق بيوتيا، ومينويا، وهي قلعة تحمل الاسم نفسه الذي تحمله منطقة في ميغاريدا؛ وإيبيدافروس ليميرا[1]، كما يقول أرتيميدور. ولكنّ أبوللودوروس يلاحظ، أن هذه الإيبيدافروس ليميرا تقع قرب كيثيرا، وبسبب مينائها الجيّدة دعوها «ليمينيرا»، ثمّ اختصروا الاسم إلى ليميرا، وبذلك تغيّر اسمها. وسواحل لاكونيا بدءاً من ماليا مباشرة ولمسافة طويلة، هي سواحل صخرية، لكنّ عليها محطات شراعية وموانئ. وعلى الشطر المتبقي من الساحل موانئ ملائمة؛ وتقع قبالة هذا الساحل كثرة من الجزر الصغيرة التي لا تستحقّ الذكر.

2- وتعود للآرغوسيين مدينة براسي وتيمينوس التي دفن فيها تيمينوس، وهنا مكان آخر قبل تيمينوس يجري عبره نهر يدعى ليرنا، وهو الاسم عينه الذي يطلق على المستنقع الذي يروى أنه يرتبط بأسطورة الهيدرا. وتقع تيمينوس فوق البحر على بعد 26 مرحلة من آرغوس؛ ومن آرغوس إلى هيريون 40 مرحلة، ومن هنا إلى ميكينا 10 مراحل. وتأتي بعد تيمينوس ناوبليا، وهي محطة شراعية للآرغوسيين؛ وقد اشتق اسمها من الكلمات «يصلون بحراً على متون السفن». ويروى أن هذا الاسم شكل باعثاً للمؤلّفين المحدثين لتأليف أسطورة عن ناوبليوس وأبنائه، ولم ينس هوميروس أن يذكّر بهذا، لأنّ بالاميدس أدلى بكثير من الحكمة والفطنة، وأنه قتل ظلماً وغدراً، كما

أفنى ناوبليوس كثيراً من الناس عند رأس كاثيروس البحرية. ولكن، عدّاك عن أن نسب ناوبليوس يحمل طابعاً أسطورياً، فإنه يخالف التسلسل الزمني أيضاً؛ وإذا افترضنا أنه ابن بوسيدون، فكيف أمكنه أن يكون في أثناء حرب طروادا، التي أدركها، ابناً لأميمونا؟[2]. وبعد ناوبليا مباشرة تأتي كهوف بنيتها كاللابيرينتيوم، وتدعى بالكهوف السيكلوبية[3].

3- وتأتي بعد ذلك الأماكن الأخرى، وبعدها مباشرة خليج هيرميونا؛ وبما أن هوميروس ينسب هذا الخليج إلى أرغوليدا، فمن الواضح أنه لزام عليّ أيضاً أن أؤكّد على هذا الجزء من وصف الرحلة. فالخليج يبدأ عند مدينة أسينا[4] الصغيرة. وبعد ذلك تأتي هيرميونا وتريزين، وإذا أبحرت على طول الساحل، فستلاقيك جزيرة كالافريا التي يبلغ محيطها 130 مرحلة، ويفصلها عن البرّ مضيق عرضه 4 مراحل.

4- بعد ذلك يأتي الخليج السارونى؛ بعضهم يدعوه بحراً، وبعضهم الآخر مضيقاً، ولذلك يحمل اسم البحر السارونى. والخليج السارونى اسم أطلق على المضيق كلّه، على الامتداد الذي يبدأ من البحر الهيرميوني والبحر الذي عند إيستم، والذي يتّصل ببحر ميرفوي وبحر كريت. وتتبع الخليج السارونى إيبيدافروس وجزيرة إيجينا الواقعة أمام إيبيدافروس، ثمّ كينكرييوس، وهي محطة الكورينثيين الشراعية الشرقية؛ وبعد إبحار طوله 45 مرحلة تصل إلى ميناء سيخنونت. ومن ماليا إلى هذه النقطة ما يقارب 1800 مرحلة على وجه العموم. وعند سيخنونت يقع ديوكليس[5]، وهو الجزء الأضيق من إيستم وفيه معبد بوسيدون الإيستمي. لكنّنا نترك الآن وصف هذه المناطق، لأنها تقع خارج حدود أرغوليدا، ونعود لكي نباشر وصف أرغوليدا.

5- وأذكّر بادئ ذي بدء بتنوّع المعاني الذي استخدم الشّاعر فيه اسم «آرغوس»، وليس الاسم بحدّ ذاته وحسب، إنّما مع الصفات التي رافقته كذلك، أي عندما يدعو آرغوس بآرغوس «الآخية»، و«الإياسية»، و«الهيبية»[6]، و«البيلاسغية» أو «الغنية بمراعي الجياد»[7]. لأنّ المدينة أولاً تدعى آرغوس:

آرغوس، هي إسبرطا [ذات الهضاب]...

(الإلياذا IV، 52)

الرجال الذين كانوا يعيشون في آرغوس،
الذين سكنوا تيرينث

(الإلياذا II، 559)

وثانياً، هكذا تدعى البيلوبونيز:

في آرغوس في بيتنا...

(الإلياذا I، 30)

لأن مدينة آرغوس لم تكن بيته[2]. وثالثاً، دعا اليونان كلّها باسم آرغوس؛ وهو في الأحوال كلّها يدعو الإغريق كلّهم أرغوليديين، تماماً كما يدعوهم دانائيين، وآخيين، ومع ذلك فإنّ الشّاعر يميّز بين الأسماء المتماثلة باستخدام الصفات، فقد دعا تساليا آرغوس البيلاسيغية:

الآن أحصي الرجال الذين كانوا يعيشون في آرغوس البيلاسيغية

(الإلياذا II، 681)

ودعا البيلوبونيز آرغوس الآخية:

إذا جئنا إلى آرغوس، إلى الطرف الآخي...

(الإلياذا IX، 141)

هل كان في آرغوس الآخية؟

(الأوذيسا III، 251)

وهنا يعني الشّاعر بهذا أن بين الأسماء التي دعي بها البيلوبونيزيون اسم الآخيين أيضاً. وهو يدعو البيلوبونيز «أرغوس الإياسية»:

لو رآك آخيو آرغوس الإياسية الآن...

(الأوذيسا XVII، 245)

وعلى وجه الخصوص بنيلوبي، لوجدتْ هناك مزيداً من الخطاب، فمن المستبعد أن يكون الشّاعر قد قصد بذلك إلى خطّاب من بلاد اليونان كلّها، إنّما عنى فقط الذين يعيشون على مقربة. ولكنّه يستخدم الصفتين: «غنية بمراعي الجياد»، و«هيبية» بالمعنى العام.

6- وفيما يتعلّق بتعبير «هلادا»، و«هللينيين»، و«بانهيللينيين»، فإن النقاد يختلفون. فثوكيديدس[9] يؤكّد أن هوميروس لم يتحدّث عن البرابرة في أيّ مكان، «لأن الهللينيين كانوا لا يزالون يدعون باسم مشترك واحد، خاص ونقيض لتسمية برابرة». أمّا أبوللودوروس فيقول، إن إغريق تساليا وحدهم كانوا يدعون هللينيين:

... المرميدونيين، والذين يدعون هللينيين.

(الإلياذا II، 684)

وبحسب قوله فإن هسيود وأرخيلوخ كانا يعرفان مع ذلك، أن الإغريق كانوا يدعون هللينيين وبانهللينيين أيضاً، لأنّ هسيود يقول عن بنات بريتوس، إن البانهللينيين سعوا لخطبتهنّ، وأرخيلوخ يقول:

كالبانهللينيين أجمعت الرزايا على فاسوس.

(مقطع 49، هيللر)

ويعترض آخرون زاعمين أن الشّاعر يذكر البرابرة أيضاً، لأنه في أقلّ تقدير، يتحدّث عن الكاريين، الناس الذين يتحدّثون لغة بربرية[10]، وعن الإغريق كلّهم بصفتهم هللينيين:

... عن الرجل

الذي ملأ بمجده هلاّدا وآرغوس؛

(الأوذيسا I، 344)

ومرّة أخرى:

إن كنت ترغب بزيارة آرغوس وتجول في هلاّدا.

(الأوذيسا XV، 80)

7- وهكذا فإن الشطر الأكبر من مدينة الأرغوليديين[11]، يقع في السهل، أمّا أكروبولها فهو لاريسا، وهي هضبة محصنة تحصيناً قوياً، ويقوم فوقها معبد لزيوس. وعلى مقربة من المدينة يجري نهر إيناخوس، وهو نهر جبلي صاخب ينبع من ليركييوس (جبل يقع قرب لينوريا في أركاديا)[12]. وكنت قد قلت سابقاً[13] عن منابعه التي ورد ذكرها في الأساطير، إنها اختلاق اختلقه الشعراء. وبدورها «آرغوس الخالية من المياه» تعدّ اختلاقاً أيضاً.

لقد خلق الآلهة آرغوس وفيرة الرطوبة[14]،

لأن البلاد تقع في وهدة تخترقها الأنهار وفيها مستنقعات وبحيرات، وفي المدينة وفرة من المياه التي تزوّدها بها كثرة من الآبار التي يصل مستوى الماء فيها إلى السطح. ويرى النقّاد سبب هذا الخطأ في البيت التالي:

سأعود مرهقاً بالخزي إلى آرغوس Polydípsion[15]

(الإلياذا IV، 171)

وقد استخدمت كلمة Polydípsion إمّا بدلاً من كلمة polypóthēton[16]، أو بدلاً من كلمة polyïpsion[17] بعد إسقاط الحرف d، بمعنى polýphthoron كما عند سوفوكليس:

وبيت البيلوبيدس polýphthoron[18] هنا؛

(إليكترا، 10)

فالكلمات proïápsai، وiápsai، وípsasthai تعني شيئاً ما بمعنى الهلاك.

لقد جرّب الآن وخفّ ليبيد[19] الآخيين

(الإلياذا II، 143)

وأبرقت[20] طراوة وجهها.

(الأوذيسا II، 376)

أودى[21] بهم إلى هاديس الحالكة.

(الإلياذا I، 3)

عدّاك عن هذا أن هوميروس لم يعن مدينة آرغوس (فآغاممنون لم يزمع العودة إلى هناك)، بل البيلوبونيز التي لا تعدّ بالتأكيد بلاداً «يضنيها الظمأ». وثمّة من يبقي على حرف d، ويؤوّل كلمة Polydípsion عن طريق إحداث خلل في ترتيب نظام الكلمات وكحالة اتصال مع حرف العطف de، بحيث يقرأ البيت على النحو الآتي:

سأعود مرهقاً بالخزي إلى poly d'ípsion آرغوس

أي سأعود إلى polyipsion Aŕgosde، حيث Aŕgosde بدلاً من eis Argos[22].

8- ومن الأنهار التي تجري عبر أرغوليدا، نهر إيناخوس، بيد أنّ هناك نهراً آخر في أرغوليدا، هو نهر إراسين. وينبع هذا النهر من ستيمفالوس في أركاديا؛ أي من البحيرة التي تدعى البحيرة الستيمفالية؛ فهناك كانت تعيش بحسب الأساطير، الطيور التي طردها هرقل بسهامه والدق على الرق؛ وتدعى هذه الطيور نفسها بالطيور الستيمفالية. ويقولون، إن إراسين يختفي تحت الأرض، ثمّ يظهر على سطحها بعد ذلك في أرغوليدا ويروي السهل. كما يدعى إراسين باسم أرسين أيضاً. وهناك نهر آخر يحمل الاسم عينه، وهو يجري من أركاديا نحو الساحل عند بورا؛ وهنا إراسين آخر، هو إراسين الإريتري، وكذلك في أتيكا عند برافورنوس. كما يرونك ينبوعاً عند أميمونا قرب ليرنا، وبحيرة ليرنا هي مسرح أحداث أسطورة الهيدرا، وهي تقع في أرغوليدا في منطقة ميكينا؛ وبسبب عمليات التطهير التي حصلت هناك شاع المثل القائل: «مصائب ليرنا». وعلى هذا النحو يتّفق الكتّاب على أن هذه المنطقة غنية بالمياه؛ مع أن المدينة نفسها تقع في منطقة تفتقر إلى المياه، ففيها كثرة من الآبار. وينسب حفر هذه الآبار إلى الدانائيدس، ومن هنا جاء، كما يقولون، بيت الشعر الآتي:

آرغوس العطشى جعلها أبناء دانائي وفيرة المياه،

(هسيود، مقطع 24، رجاخ)

ويضيف الكتّاب، إن أربعاً من الآبار أعلنت آباراً مقدّسة وحظيت بتبجيل خاص، إذ خلقت على هذا النحو تصوّراً بعدم وجود الماء حيث توجد وفرة منه.

9- وتقول الرواية إن دانائي هو الذي أسّس أكروبوليس الأرغوليديين ويبدو أنهم رأوا في دانائي هذا ملكاً أكثر سمواً من الملوك الذين سبقوه على هذه البلاد، إلى درجة أن البيلاسيغيس بحسب يوريبيدس:

الذين كانوا يدعون من قبـل بيلاسيغيس
اتخذوا الدانائيدس اسماً لهم، فهو فرض
القانون في هلاّدا.

(مقطع 288، 7، ناؤوك)

ويقع قبر دانائي في وسط ساحة سوق الأرغوليديين، ويدعى بالينثوس. وأنا أظنّ أن مجد هذه المدينة هو الذي جعل البيلاسيغيس والدانائيدس، وكذلك الأرغوليديين، وباقي الإغريق كلّهم يتسمّون باسم دانائي. وحتّى الكتّاب الأحدث عهداً يتحدّثون عن الإياسيين، وآرغوس الإياسية، وعن آبيا والآبيدونيين، لكنّ هوميروس لم يذكر الأبيدونيين، وعلى أغلب الظنّ أنه عنى بكلمة apia[23]، البلاد البعيدة. ولكي نبرهن على أن الشّاعر عنى بآرغوس البيلوبونيز، يمكننا أن نضيف الأمثلة الآتية أيضاً:

يلينا الأرغوليدية،

(الأوذيسا IV، 296)

في أعماق آرغوس الشهيرة الجياد، هناك مدينة إيثيرا؛

(الإلياذا IV، 152)

و

عبر وسط آرغوس

(الأوذيسا I، 344)

و

بسلطة على جزر كثيرة وعلى آرغوس،
المملكة المترامية الأطراف

(الإلياذا II، 108)

وعند الكتّاب الأحدث عهداً أيضاً، يدعى السهل آرغوس، إلاّ أن هذا غير موجود عند هوميروس قط. ولكنّي أظنّ أن استخدام الكلمة بهذا المعنى، هو استخدام مقدوني أو تسالي.

10- بعد أن ورث خلفاء دانائي السيطرة على آرغوس، واتحد معهم الأميثاونديون الذين نزحوا من بيساتيدا وتريثيليا، لن نستغرب إذا كان هؤلاء بعد أن غدوا قبائل تربط بينها أواصر القرابة، قد قسموا البلاد إلى مملكتين، وجعلوا المدينتين الزعيمتين فيها عاصمتين (وأنا أعني هنا آرغوس وميكينا، مع أنهما كانتا تقعان قرب بعضهما بعض على مسافة لا تتجاوز 50 مرحلة)، وجعلوا هيريون[24] (قرب ميكينا) معبراً مشتركاً للمدينتين. وفي هذا المعبد تماثيل نحتها بوليكليتوس، وهي

من الوجهة الفنية أروع الأعمال على وجه الأرض، لكنّها من حيث القيمة والعظمة تقصر عن تلك التي نحتها ثيديوس. وبادئ ذي بدء كانت آرغوس أكثر قوّة وجبروتاً، لكنّ ميكينا حقّقت بعد ذلك مستوى أعلى من الازدهار بفضل نزوح البيلوبيدس إلى هنا؛ وعندما انتقلت المملكة كلّها إلى أبناء أتريوس تسلّم أكبرهم آغاممنون السلطة العليا، وإذ تقاطعت المصادفة السعيدة مع بسالة الرجل وشجاعته، امتلك آغاممنون إضافة إلى الأملاك السابقة، الشطر الأكبر من البلاد؛ وضمّ في غضون ذلك لاكونيا إلى أراضي ميكينا. وعلى هذا النحو نال منيلايوس لاكونيا، وأخذ آغاممنون ميكينا والمناطق الممتدّة حتّى كورينثوس، وسيكيون والبلاد التي كانت تدعى في ذلك الوقت بلاد الإيونيين والإيغياليين، وفيما بعد، الآخيين. ولكن بعد الحرب الطروادية، عندما دمّرت مملكة آغاممنون، تراجعت قوّة ميكينا وضعفت خاصة مع عودة الهيراقليين، لأنّ هؤلاء بعد أن امتلكوا البيلوبونيز، طردوا الحكّام السابقين، وأولئك الذين امتلكوا آرغوس، امتلكوا ميكينا بصفتها جزءاً لا يتجزّأ من الكلّ. وفي الزمن الحديث دمّر الأرغوليديون ميكينا تدميراً تاماً وسوّوها بالأرض بحيث يتعذّر الآن العثور حتّى على آثار مدينة الميكينيين. وبما أن هذا المصير المحزن حلّ بميكينا، فلا ينبغي أن نستغرب إذا كانت بعض المدن الخاضعة لآرغوس قد اندثرت الآن. ويحتوي «سجلّ السفن» على المدن الآتية:

الرجال الذين كانوا يعيشون في آرغوس،
الذين سكنوا تيرينث الحصينة،
ومدينة هيرميونا، وأسينا، الميناءين البحريين،
ومدن تريزينا، وإيبون، وإيبيدافروس الوفيرة الأعناب،
والذين عاشوا في ماسيت، وإيجينا، الفتيان الآخيون
الشجعان.

(*الإلياذا* II، 559)

ومن بين المدن المذكورة هنا، كنت قد تحدّثت عن آرغوس فقط، وينبغي أن أصف الآن باقي هذه المدن.

11- فتيرينث على ما يبدو، شكّلت نقطة استناد لبريتوس، الذي أحاطها بالأسوار بمساعدة السيكلوب؛ وكان عدد السيكلوب 7 وقد دعوهم «ذوي الأيادي المنتفخة»، لأنّ مهنتهم كانت مصدر عيشهم الوحيد؛ وجاؤوا من ليكيا تلبية لدعوة وجّهت لهم. وربّما كانت الكهوف الواقعة قرب ناوبليوس والمنشآت التي بنيت فيها قد سميت باسمهم. ودعي أكروبوليس ليكيمنا باسم ليكيمنوس، وهو يقع على مسافة

تقـارب 12 مرحلـة عـن نـاوبليوس؛ لكنّـه الآن مـتروك مثلـه مثـل ميـدييا الـتي تختلـف عـن ميدييا البيوتية؛ لأنّ الأولى مثل برونيا، بينما الثانية مثل تيغيبا. وتجـاور ميـدييا بروسـيمنا [....][25]، ويقوم في هذه الأخيرة معبد لهيرا. ولكنّ الأرغوليديين خربوا العدد الأكبر من المدن التي عصتهم ولم تخضع لهم؛ أمّا السكّان فقد نزحوا من تيرينث إلى إيبيـدافروس، ومن ميدييا إلى غاليوس؛ وهجّر اللاكيديمونيون سكّان أسينا (وهـي قرية في أرغوليـدا تقـع قـرب نـاوبليوس) إلى ميسـينا حيـث تقـع هنـاك مدينـة تحمـل اسـم أسـينا الأرغوليدية عينـه؛ فبحسـب مـا يقولـه ثيوبومبـوس، أن اللاكيـديمونيين بعـد أن اسـتولوا علـى شـطر كبير من أراضي القبائل الأخرى، أسكنوا فيها كلّ الفارين الذين لجؤوا إليهم. كما هاجر إلى ميسينا أيضاً، سكّان ناوبليوس.

12- وهيرميونا واحدة من المدن المهمّة؛ ويشغل الذين يدعون بالغاليين[26] سـاحلها كلّه، وهؤلاء فئة من الناس تعيش على الأعمال البحرية. وتقـول الأسـطورة المعروفـة، إن في بـلاد الهيرميـونيين طريـق قصـيرة تقـود إلى هـاديس؛ ولـذلك لا يضـع هـؤلاء في أفـواه موتاهم قطعاً نقدية أجرة نقلهم[27].

13- ويـروى أن أسـينا [مثلـها مثـل هيرميونـا]، كانـت مكـان إقامـة الـدريوبيين. وبحسب ما يفيد به أرسطو أن الأركـادي دريـوبس جـاء بهـم مـن ضفاف سـبرخييوس إلى هنـا، أو أن هـرقل طردهـم مـن شـطر درويـدا الـذي يقـع عنـد بارنـاس. أمّـا رأس سـكيلييا البحرية الواقعة قرب هيرميونا، فيقال إنها دعيت باسم سكيلاّ ابنة نيسوس، ومن شـدّة حبّها لمينوس غـدرت هـذه الأخيرة بوالـدها، فرمـى بهـا في البحـر وحملتهـا الأمـواج ورمـت بجثتها على الشاطئ، وهنا كان قبرها. وكانت إيبونا قرية نهبها الميكينيون وجعلوا منهـا محطة شراعية لهم؛ وفيما بعد دمّرت تدميراً تاماً، وهـي ليست الآن حتّى محطة شراعية.

14- أمّا تريزينا فهي مكـرّسة لبوسيدون، وفي زمن ما كانـت تـدعى بوسـيدونيا تيمنـاً باسمـه؛ وهـي تقـع علـى بعـد 15 مرحلـة فـوق البحـر، وتعـدّ واحـدة مـن المـدن المهمّـة. وأمام مينائها التي تدعى بوغون، تقع كالافريا، وهـي جزيـرة صـغيرة يبلـغ محيطهـا 130 مرحلـة. ويقـوم هنـا ملجـأ مكـرّس لبوسـيدون؛ يقولـون إن هـذا الإلـه تبـادل مـع لاتونـا فأعطاها ديلوس بدلاً من كالافريا، كما تبادل أيضاً مع أبوللون فأعطـاه بيفـو[28] بـدلاً من تينار. وينقل لنا إيثور قول الكاهن المتنبّئ:

سواء بالنسبة إليك إن أقمت في كالافريا أو ديلوس

أو في بيفو المقدّسة أو تينار المفتوحة على الرياح.

لقد ارتبط بهذا المعبر شيء ما يشبه أمفيكتيونيا[29] سبع مدن كانت تشارك في

تقديم قرابين مشتركة؛ وكانت هذه المدن هي هيرميون، وإيبيدافروس، وإيجينا، وأثينا، وبراسي، وأوركومين المينوية. ولكنّ الأرغوليديين كانوا يدفعون مساهمات عن سكّان ناوبليوس، بينما كان اللاكيديمونيون يدفعون مساهمات عن البراسيين. لقد كان تبجيل هذا الإله عند الإغريق عظيماً إلى درجة أن المقدونيين الذين كانت سيطرتهم قد امتدت على المنطقة حتّى المعبد، قد أبقوا له إلى درجة ما، على حق حرمة اللجوء إليه وخافوا أن ينتزعوا بالقوة عن مذبحه الإيكيتيين(30) الذين كانوا يهربون إلى كالافريا طلباً للجوء والحماية، وفي أقلّ تقدير لم يجرؤ آرخيوس وجنوده أن يستخدموا القوّة ضدّ ديموسفين، مع أن انتيباتر كان قد أمره أن يأتي به حياً هو والخطباء الآخرين المتهمين بجرائم مماثلة؛ لقد حاول آرخيوس أن يقنع ديموسفين، لكنّه لم يستطع، وهدده ديموسفين بأنه سينهي حياته بالسمّ. وجاء تريزين وبيتفيوس ولدا بيلوبس، من بيساتيدا، فترك الأول بعده مدينة تحمل اسمه، أمّا الثاني فقد ورث عرش أخيه وغدا ملكاً. وأبحر أنفيس الحاكم السابق لهذه المنطقة منها، وأسّس غاليكارناس، لكنّني سأتحدّث عن هذا في وصفي لكاريا وطروادا.

15- لقد كانت إيبيدافروس تدعى سابقاً إيبيكاروس، فأرسطو يقول، إن الكاريين كانوا يملكونها كما كانوا يملكون هيرميونا أيضاً؛ ولكن بعد عودة الهيراقليين سكن فيها مع الكاريين الإيونيون الذين رافقوا الهيراقليين إلى آرغوس من المدن الأتيكية الأربع. وليست إيبيدافروس مدينة مجهولة، خاصة بعد ظهور قوّة أسكليبوس العجيبة، فقد كانوا يؤمنون بأن هذا الرجل قادر على أن يشفي من شتّى الأمراض، وكان معبده مليئاً دائماً بالمرضى، ولوائح الاختيار التي كانت تدون فيها وسائل المداواة، وكانت هذه موجودة في كوسوس كما في تريكا. وتقع إيبيدافروس في منخفض الخليج الساروني، ومحيطها على طول الساحل 15 مرحلة، وهي تتّجه نحو مشرق الشمس صيفاً(31). وتحيط بالمدينة حتّى البحر مباشرة، جبال عالية تجعلها بطبيعتها مركزاً حصيناً. ويقع بين تريزين وإيبيدافروس موقع ميثانوس الحصين، وشبه جزيرة تحمل الاسم نفسه، لكنّ الاسم يقرأ في بعض اللوائح عند ثوكيديدس ميثونوس، كاسم المدينة المقدونية التي فقد فيليب عينه أثناء حصارها. ولهذا اختلط الأمر على بعض الكتّاب، كما يقول ديميتري السكيبسيسي، فظنّوا أن هذه المدينة كانت مدينة ميثونوس في تريزينيا (التي استنزل عليها اللعنة مجندو البحارة الذين أرسلهم آغاممنون، كما يروى، بألا يرفع سكّانها أسواراً حولها إلى الأبد)، فبحسب رأيه أن هؤلاء لم يكونوا هم سكّان المدينة الذين رفضوا المشاركة في الحملة، فالذين

فعلوا ذلك، بحسب ثيوبومبوس، هم سكّان المدينة المقدونية؛ إذ من المستبعد وفق رأيه، أن يعصي أمر آغاممنون أولئك الذين كانوا يعيشون على مقربة منه.

16- وإيجينا، هو اسم مكان في إيبيدافريا؛ وهو أيضاً اسم جزيرة تقع قبالة هذا الشطر من القارّة، وهذه هي الإيجينا التي يريد الشّاعر أن يتحدّث عنها في أبيات الشعر التي أوردناها منذ قليل[32]؛ ولذلك يكتب بعضهم:

... وجزيرة إيجينا

بدلاً من:

... الذين امتلكوا إيجينا،

(الإلياذا II، 562)

وهم على هذا النحو يقيمون فرقاً بين مكانين يحملان الاسم عينه. وعليه، هل تستحق هذه الجزيرة أن نقول عنها إنها واحدة من أشهر الجزر. فيروى أن إياكس والتابعين لسلطته ينتمون إلى هنا منشأ. لقد كانت هذه الجزيرة تسود على البحر يوماً، وقد نافست أثينا على الريادة في معركة سلامين البحرية أثناء الحروب الفارسية. ويقولون، إن محيط هذه الجزيرة يمتدّ على 180 مرحلة؛ وفيها مدينة تحمل اسمها عينه، وتتّجه نحو الجنوب الغربي، وتقع حولها أتيكا، وميغاريدا، والبيلوبونيز حتّى إيبيدافروس مباشرة؛ وتبعد الجزيرة ما يقارب 100 مرحلة عن كلّ من هذه الأقاليم؛ وتشاطئ ناحيتها الشرقية والجنوبية بحر ميرتوي وبحر كريت؛ وتنتشر حولها جزر صغيرة يقع كثير منها قرب البرّ، مع أن جزيرة بيلبا تقع بعيداً في عرض البحر. وأرض الجزيرة ترابية في العمق، وصخرية على السطح؛ وينسحب هذا على السهل خاصة؛ ولذلك فالبلاد كلّها محرومة من النباتات، مع أن الشعير ينمو فيها جيداً إلى حدّ ما. ويقولون، إن الإيجينيين لم يدعوا مرميدونيين لأنّ وباء قوياً اجتاح البلاد، كما تروي الأسطورة، فصلّى إياكس متوسلاً الآلهة أن يحوّلوا النمل[33] إلى بشر، بل لأنهم كالنمل يحفرون الأرض وينقلون التراب لينثروه على الصخر وتتوفّر لديهم بهذه الطريقة أراض زراعية، ولأنهم لكي يقتصدوا في استهلاك الآجر كانوا يسكنون في حفر. وفي الزمن القديم كانت إيجينا تدعى إينونا، والاسم عينه حمله ديموسان من ديموسات أتيكا؛ وكان أحدهما يقع على مقربة من إيليفثيرا:

.. مع إينونا

تشغل الحقول المجاورة ومع إيليفثيرا[34]؛

والآخر، هو أحد ديموسات المدن الماراثونية الأربع التي شاع عنها مثل يقول: لإينونا استجرّوا السيل الجبلي[35]. وقد استوطن هذه الجزيرة بعضهم إثر بعض كلّ من

الارغوليـديين، والكـريتيين، والإيبيـدافريين، والـدوريين؛ وفيمـا بعـد وزّع الأثينيـون أراضيها على مـواطنيهم بالقرعـة؛ وبعـد أنتـزع اللاكيـديمونيون الجزيـرة مـن الأثينـيين، أعادوهـا إلى أصـحابها السـابقين. لقـد أرسـل الإيجينيـون مسـتعمرين إلى كيـدونيا في كريت، وبـلاد الأمبريكـيين. ويقـول إيثـور، إن ثيـدون الإيجينيـة أوّل مـن سـكّت النقـود الفضية، لأنّ الجزيـرة تحوّلـت علـى حدّ قولـه، إلى مركـز تجـاري، فبسـبب شحّ التربـة اشتغل سكّانها بالتجارة البحرية، فدعيت الخردوات «بالخردوات الإيجينية».

17- ويأتي الشّاعر علـى ذكـر بعـض الأمـاكن وفـق الترتيـب الـذي هـي عليـه في واقع الحال:

... الساكنين في هيريا، في أوليدا الحجرية.

(الإلياذا II، 496)

الذين عاشوا في آرغوس... الذين سكنوا تيرينث الحصينة،
ومدينة هيرميونا ، وأسينا...
ومدن تريزينا، وإيبيون،

(الإلياذا II، 559)

لكنّه يتحدّث عنها أحياناً من غير ترتيب:

الرجال الذين سكنوا سخينوس وسكولوس...
وثيسبيا، وغربيا...

(الإلياذا II، 497)

ويأتي على ذكـر الأماكن مع ذكـره للجزر في الوقت نفسـه:

الرجال الذين سكنوا إيثاكا،
أبناء كروكيلييا...

(الإلياذا II، 632)

لأن كـروكيلييـا تقـع في بـلاد الأكـارنـانيين. وهنـا أيضـاً[36] يـربط الشّـاعر بـين ماسـيت وإيجينا، مع أن ماسيت تقع في أرغوليدا على البرّ. ولم يأت هوميروس على ذكـر ثيرييـا، مع أن الكتّاب الآخرين غالباً ما يذكرونها؛ فالصراع على ثيرييا أدّى إلى نشـوب صـراع مسـلّح بـين الأرغوليـديين واللاكيـديمونيين: 300 ضـدّ 300[37]؛ وقـد انتصـر فيـه اللاكيديمونيون الذين كان يقودهم أوثريـادس. وبحسـب ثوكيديدس أن هـذا المكـان يقع في كينوريا على الحدود المشتركة بين أرغوليدا ولاكونيا. وهيسوس أيضاً مكـان معروف في أرغوليدا، وكذلك كينكرييا الواقعة علـى الطريـق مـن تيغييـا إلى آرغـوس

عبر جبل بارفينيوس وجبل كريوبولس؛ ولكنّ هوميروس لا يعرفهما، كما لا يعرف ليركييوس وأورنيوس، وهذه الأخيرة بلدة من بلدات أرغوليدا؛ وليركييوس جبل يحمل الاسم نفسه الذي يحمله جبل آخر يقع على مقربة، والبلدة تحمل اسم أورنيوس التي تقع بين كورينثوس وسيكيون.

18- وعلى هذا النحو كانت آرغوس وإسبرطا، ولا تزالان حتّى الآن أهمّ مدن البيلوبونيز؛ وقد تحدّثوا عنهما كثيراً جدّاً، ولذلك لا أجد ضرورة في أن أسهب في الحديث عنهما، لأنّ هذا سيكون تكراراً لما قاله الكتّاب من قبل. لقد كانت آرغوس في الزمن القديم أكثر شهرة، ولكنّ اللاكيديمونيين حقّقوا فيما بعد تفوّقاً دائماً، وحافظوا على استقلالهم، ما خلا بعض الحالات التي ربّما ارتكبوا فيها بعض الهفوات[38]. والحقيقة أن الآرغوسيين لم يسمحوا لبيروس بدخول مدينتهم (لقد هلك أمام أسوار المدينة بضربة آجرّة رمتها على رأسه عجوز من أعلى السور)، لكنّهم وقعوا تحت سلطة ملوك آخرين؛ فانضمّوا بعد ذلك إلى الاتحاد الآخي ومع الآخيين دخلوا تحت سلطة روما؛ ولا تزال مدينتهم حتّى يومنا هذا المدينة الثانية من حيث الأهمية بعد إسبرطا.

19- وسأتحدّث بعد ذلك عن الأماكن المذكورة في «سجلّ السفن»، بصفتها تحت سلطة ميكينا وآغاممنون. تقول أبيات الشعر:

والذين كانوا يعيشون في ميكينا، المدينة المنظّمة جيداً،
وفي كورينثوس الغنية، وكليونا الباذخة التجهيز؛
والساكنون في مدينة أورنيوس؛ وأريثير السعيدة،
ومدينة سيكيون، حيث في الزمن الغابر ملك أدراستوس
سيّد ساحات الوغى؛
وأبناء هيبيريسيا كلّهم، وهونويسا ذات الصخور الشاهقة؛
والذين في بيللينا، والرجال الذين يقطنون حول إيغيون
على طول إيغيالوس كلّها وعبر هيليكا الشاسعة،

(*الإلياذا* II، 569)

لقد بادت ميكينا الآن ولم يعد لها وجود؛ وكان قد أسّس هذه المدينة برسيوس، الذي خلفه سفينيلوس، وخلف سفينيلوس إيفريسفيوس؛ وحكم هؤلاء ثلاثتهم في آرغوس أيضاً. وحسب الروايات أن إيفريسفيوس قاد حملة على الماراثون ضدّ أيولاييوس وأبناء هرقل ساعده فيها الأثينيون، لكنّه سقط في أرض المعركة؛ فدفن جسده في غارغيت، أمّا رأسه فقد احتزه أيولايوس ودفنه على حدة في تريكورينثوس عند نبع

ماكاريا على مقربة من طريق مطروقة. ويدعى هذا المكان الآن «رأس إيفريسفيوس». وانتقلت ميكينا لتصبح تحت سلطة البيلوبيديين الذين جاؤوا من بيساتيدا، ثمّ تحت سلطة الهيراقليين الذين امتلكوا آرغوس أيضاً. وبعد معركة سلامين البحرية، هاجم الأرغوليديون مع الكليونيين والتيغيين ميكينا، فدمّروها وسوّوها بالأرض ثمّ تقاسموا منطقتها فيما بينهم. وبما أن هاتين المدينتين تقعان بالقرب من بعضهما بعض، فقد دعاهما كتّاب التراجيديات باسم واحد، كما لو كانتا مدينة واحدة؛ ففي العمل الدرامي نفسه يدعو يوريبيدس المدينة عينها تارة ميكينا وتارة أخرى آرغوس، كما في «إيفجينيا»[39] و«أوريستوس»[40]، على سبيل المثال. وتقع مدينة كليونا على الطريق من آرغوس إلى كورينثوس، فوق تلّ تحيط به القرى من جهاته كلّها، والمدينة محصنة بشكل جيد، ولذلك أرى أن تسميتها «كليونا الباذخة التجهيز»، هي تسمية صحيحة تماماً. وهنا بين كليونا وفليونت تقع نيميوس، وأرض مقدّسة يقيم عليها الأرغوليديون وفق التقليد، الألعاب النيمية، كما كانت هذه الأرض المكان الذي دارت فيه أحداث أسطورة الأسد النيمي؛ وغير بعيد من هنا تقع بيمبينا. وتقع كليونا على بعد 120 مرحلة عن آرغوس، و80 مرحلة عن كورينثوس. وأنا نفسي تمعنت بالبلدة من فوق أكروكورينثوس.

20- لقد دعا هوميروس كورينثوس بالغنية بسبب تجارتها، بما أنها تقع على إيستم وتملك ميناءين تقود إحداهما إلى آسيا مباشرة، والأخرى نحو إيطاليا، وهذا ما يسهل تبادل السلع من البلدين اللذين يقع واحدهما بعيداً جداً عن الآخر. وكما كان مضيق صقليا غير ملائم للملاحة قديماً، كذلك كانت البحار المفتوحة غير ملائمة لها أيضاً، خاصة البحر الواقع وراء ماليوس بسبب الرياح المعاكسة، ومن هنا جاء المثل القائل:

إذ تتجاوز ماليوس، انس طريق العودة.

وعلى أي حال كان التجار الإيطاليون ومثلهم الآسيون، يفضلون إنزال بضائعهم هنا وتفادي الإبحار إلى ماليوس. أمّا رسوم إخراج البضائع من البيلوبونيز براً، وإدخالها إليها، فقد كان يحصلها القائمون على معبر إيستم. وقد بقيت هذه الحال بعد ذلك على ما هي عليه، لكنّ منافع أخرى جاءت الكورينثيين، لأنّ الألعاب الإيستمية التي كانت تقام هناك، كانت تستقطب حشوداً كبيرة من الناس. وقد شغل الباكخيادس، وهم سلالة بارزة كثيرة العدد، منصب رأس السلطة التيرانية في كورينثوس ما يقارب 200 عام، وأفادوا بهدوء من ثمار النشاط التجاري في البلاد؛ وعندما أطاح بهم كيبسيل، بات هو نفسه تيراناً، وتوارثت سلالته السلطة هنا على مدى ثلاثة أجيال؛ وتشهد التقدمة التي قدمها كيبسيل في أوليمبيا على مدى ثراء هذه السلالة: تمثالاً مهولاً لزيوس

مصنوعاً من الذهب المشغول. أمّا ديمارت الذي كان أحد الحكّام في كورينثوس، فقد حمل معه إلى تيرينيا، لدى فراره من الملاحقات المحلّية، ثروة طائلة مكنته من أن يغدو حاكماً للمدينة التي منحته اللجوء[41]، أمّا ابنه فقد غدا ملكاً على الرومان[42] وكان معهد أفروديت ثرياً إلى درجة أنه امتلك 1000 أمة - هيتيرا معبدية أهداها إليه رجال ونساء؛ وبفضل هؤلاء النسوة غدت المدينة غنية وكثيرة السكّان؛ فقباطنة السفن على سبيل المثال، كانوا ينفقون نقودهم هنا من غير حساب، ومن هنا جاء المثل القائل:

ليست طريق كورينثوس مفتوحة لأيّ كان.

ويروى في هذا السياق أن إحدى الهيتيرات ردّت على توبيخ إحدى النساء لها بأنها لا تحب العمل، ولا تنسج الصوف، فقالت: «أنا هكذا، ومع ذلك فقد نجحت خلال هذا الوقت القصير في أن أحطّم ثلاثة أنوال حياكة»[43].

21- وبحسب ما نقله هيرونيموس، وإيفدوكس وسواهما، وعلى أساس ما عاينته أنا ورأيته، فإن موقع المدينة التي أعاد الرومان بناءها منذ بعض الوقت، يبدو على النحو الآتي: جبل شاقولي عال ارتفاعه $3\frac{1}{2}$ مرحلة، ولدى الصعود حتّى 30 مرحلة ينتهي بقمّة حادّة تدعى أكروكورينثوس، جهته الشمالية هي الأكثر شاقولية؛ وفي الأسفل تقع المدينة في مكان مستو[44] على شكل معيّن عند سفح الأكروكورينثوس. وعلى هذا النحو بلغ محيط المدينة في زمن ما، قرابة 40 مرحلة، أمّا شطرها الذي لا يحميه الجبل، فقد أحيط بسور؛ بل حتّى جبل أكروكورينثوس نفسه كان محاطاً بحلقة من الأسوار شيّدت حيث كان ذلك ممكناً؛ فعندما صعدت الجبل كانت أطلال السور المحيط به ظاهرة للعيان. وعلى هذا النحو كان امتداد المحيط كلّه حوالي 80 مرحلة. والجبل من جهاته الأخرى أقلّ انحداراً، لكنّه يرتفع هنا أيضاً إلى مستويات عالية ويرى من كلّ مكان. ويقوم على قمّة الجبل معبد صغير لأفروديت؛ ويجري تحت القمة ينبوع يدعى بيرينا، ومع أنه لا مسيل له، إلا أنه مليء دائماً بمياه نقية صافية صالحة للشرب. ويقال إن نبعاً انبجس في سفح الجبل نتيجة لضغط مياه هذا النبع نفسه وبعض التجمّعات المائية الجوفية الأخرى، وهذا النبع هو النبع الذي يصبّ في المدينة، ويزوّدها بكمية وافرة من الماء. وعلاوة على ذلك تنتشر في المدينة كثرة من الآبار، وكذلك في الأكروكورينثوس كما يقولون؛ لكنّني لم أرها أنا بعيني. وعلى أي حال، عندما يقول يوريبيدس:

من موجة المدينة التي تغتسل حول أكروكورينثوس،
من تلّ أفروديت المقدّس أتيت،

(مقطع 1084، ناؤوك)

فإن صفة «تغتسل حول» ينبغي أن تفهم إمّا بمعنى المياه التي في جوف الجبل، لأنّ الآبار والينابيع الجوفية تمرّ عبره، أو ينبغي أن نفترض، أن بيرينا خرج في الزمن القديم إلى سطح الأرض وكان يروي الجبل. ويروى أن بيلليروفونت أمسك هنا بالحصان المجنح بيجاسوس عندما ورد الماء، وكان بيجاسوس قد قفز من عنق الميدوزا عندما قطعت رأسها. ويروى أيضاً، أن هذا الحصان عينه أخرج هيبوكرينا[45] إلى سطح الأرض على جبل هيليكون، إذ ضرب بحافره صخرة كانت موجودة تحت الجبل. وعند قدم بيرينا يقع سيزيفوس الذي يحافظ على أطلال مهمّة لمعبد ما، أو لقصر ملكيّ ما مبنيّ من حجر المرمر الأبيض. وإذا اتّجهت بنظرك من أعلى القمة شمالاً، يمكنك أن ترى الخليج الكريسي عند سفحيّ الجبلين تحيط به ثوكيدا، وبيوتيا، وميغاريدا، وأجزاء من منطقتيّ كورينثوس وسيكيون الواقعتين على ذلك الجانب من الخليج قبالة ثوكيدا نحو الغرب[46]. وترتفع فوق هذه البلدان[47] كلّها، جبال تدعى جبال أونيبيوس[48]، التي تمتدّ من صخور سكيرون حتّى بيوتيا وكيثيرون، أي من الطريق التي تسير على طول هذه الصخور إلى أتيكا.

22- ويبدأ الشاطئ من الجانبين عند ليكيوس من جهة، وكينكريبوس من الجهة الأخرى، وتبعد القرية والميناء حوالي 70 مرحلة عن كورينثوس. والميناء مركز سكّاني مأهول تنقل البضائع عبره من آسيا، وعبر ليكيوس من إيطاليا. وتقع ليكيوس تحت المدينة بقليل، وليس فيها سوى بضع منازل سكنية؛ وعلى جانبيّ الطريق التي تقود إلى ليكيوس بنوا جدارين يقارب طولهما 12 مرحلة. ويمتدّ الشاطئ من هنا إلى باغي في ميغاريدا مشاطئاً خليج كورينثوس؛ وهو مجوّف ويشكّل مع الشاطئ المقابل عند سخينونت الواقعة قرب كينكريبوس، ديوكلس[49]. وبين ليكيوس وباغي كان يقوم في الزمن القديم مقرّ كاهن هيرا الأكريسية المتنبّئ، وتقع هنا أيضاً أولميوس، وهي رأس بحرية تشكّل خليجاً، حيث تقع إينويا وباغي؛ وهذه الأخيرة هي حصن الميغاريين، أمّا إينويا فهي حصن الكورينثيين. وبعد كينكريبوس تأتي سخينونت حيث يقع القسم الضيّق من البرزخ- ديوكلس؛ ثمّ تأتي كروميّونيا. ويقع أمام هذا الشاطئ، الخليج الساروني والخليج الايليفسيني الذي يندغم إلى حدّ ما بالخليج الأول ويجاور الخليج الهيرميوني. ويقع على إيستم معبد بوسيدون الإيستمي تحت ظلال دغل من شجر الصنوبر، وهنا كان الكورينثيون يقيمون الألعاب الايستمية. وكروميوس بلدة في منطقة كورينثوس، مع أنها في الزمن القديم كانت تقع في ميغاريدا، وقد كانت المكان الذي دارت فيه أحداث أسطورة خنزيرة كروميّون التي كانت بحسب الأسطورة، والدة الخنزير الكاليدوني، وحسب الخرافة أن قتل هذا الخنزير كان

واحدة من مآثر ثيسيوس. وتينيا بدورها واحدة من بلدات منطقة كورينثوس، حيث يقع معبد أبوللون التينيّ؛ ويروون كذلك أن أكثر المستعمرين الذين تبعوا آرخيوس الذي أسّس مستعمرة في سيراكوزا، كانوا من هنا؛ وبعد ذلك حققّت تينيا ازدهاراً أكبر من ذلك الذي عرفته البلدات الأخرى؛ بل لقد حظيت في آخر الأمر ببنية دولة مستقلّة. وبعد أن انفصلت عن الكورنثيين، انضمّت تينيا إلى الرومان، وبقيت على قيد الحياة حتّى بعد أن دمّرت كورينثوس، ويذكّرون أيضاً بإحدى نبوءات المتنبّئ لأحد الأشخاص الآسيويين[50] الذي سأل: أليس من الأفضل له أن ينتقل للإقامة في كورينثوس:

سعيدة كورينثوس، لكـنّي فلأبق تينياتياً.

ويحرّف بعضهم هذه الكلمات عن جهل لتصبح على النحو الآتي: «فلأبق تيجياتياً إذن». ويقولون، إن بوليب ربّى أوديب هنا. وقد تكون هناك صلة قرابة بين التندوسيين والتينياتيين عبر ثينّوس بن كيكنوس، كما يقول أرسطو[51]؛ ويعدّ التشابه في عبادة أبوللون لدى القبيلتين، دليلاً مهماً يدعم صحّة وجود مثل هذه الصلة.

23- عندما كان الكورينثيون تحت سلطة فيليب[52]، لم يكتفوا بالمشاركة إلى جانبه في نزاعاته مع الرومان، بل هم أنفسهم كانوا يكنون للرومان قدراً من الاحتقار وصل عند بعضهم إلى درجة أنهم كانوا يوجهون الشتائم إلى السفراء الرومان عندما كان هؤلاء يمرون بالقرب من منازلهم. ولكنّ مثل هؤلاء كانوا ينالون عقابهم في اللحظة عينها على مثل هذه الإهانات وغيرها، لأنّ الرومان أرسلوا ضدّهم قوّات كبيرة، وقد دمّرت المدينة نفسها تدميراً تامّاً على يديّ لوسيوس موميوس[53]؛ ووقعت البلدان الأخرى كلّها وصولاً إلى مقدونيا تحت سلطة الرومان؛ وكان هؤلاء يرسلون مختلف القادة العسكريين إلى مختلف البلدان؛ وكان السيكيونيون قد امتلكوا الشطر الأكبر من منطقة كورينثوس. ويلاحظ بوليبيوس في وصفه للأحداث التي ارتبطت بالاستيلاء على كورينثوس، مبدياً في أثناء ذلك أسفه على الاحتقار الذي تعامل به الجنود الرومان مع الأعمال الفنية والتقدمات التي كانت مكرّسة في المعابد. فقد قال إنه رأى بأمّ عينه اللوحات مرمية على الأرض والجنود يلعبون فوقها النرد. ويذكر بين تلك اللوحات واحدة رسمها أريستيد تصوّر ديونيسيوس، وبحسب بعض الكتّاب أن المثل القائل: «لا شيء يقارن بديونيسيوس»[54] قد قيل بهذه اللوحة؛ كما يذكر بوليبيوس أيضاً لوحة «آلام هرقل في رداء ديانيرا». بيد أنني لم أر هذه الأخيرة، لكنّني شاهدت ديونيسيوس، وهي العمل الأروع المعروض في معبد سيريس في روما؛ ولكنّ اللوحة هلكت عندما التهم حريق المعبد منذ بعض الوقت[55]. وأكثر التقدمات الأخرى التي جاءت إلى روما كان أعظمها وأكثرها ينتمي إلى كورينثوس؛ كما

امتلكت المدن المجاورة لروما بعض الأعمال الأخرى، لأنّ موميوس الذي كان رجلاً سخياً أكثر منه محبّاً للفنّ كما يقولون، كان يتنازل بسهولة عن مثل هذه الأعمال لمن يطلبها منه. وعندما بنى لوكولا معبد فورتونا والرواق، استأذن موميوس أن يستخدم التماثيل التي كان يملكها ليزين المعبد بها قبل تكريسه، ثمّ يعيدها إليه بعد ذلك، لكنّه لم يعد التماثيل، بل كرّسها تقدمة للآلهة وقال لموميوس: انتزعها منها إن شئت. لكنّ موميوس لم يبد أيّ اهتمام، لذلك نال احتراماً أعظم من ذلك الذي ناله من بنى المعبد وكرّسه. وبعد ذلك بقيت كورينثوس مدينة مهجورة لزمن طويل. ولكنّ قيصر الإلهي أدرك أهمية موقع المدينة[56]، فأعاد بناءها بمستعمرين أكثرهم من المعتوقين. وعندما رفع المستوطنون الجدد الأنقاض وحفروا المقابر، عثروا على كثير من المصنوعات الطينية التي تغطيها صور جانبية، كما عثروا أيضاً على آنية برونزية. وقد دفعهم الإعجاب الشديد بتلك المصنوعات إلى حفر مقابر المدينة واحداً واحداً؛ فاستخرجوا كثيراً من مثل هذه المصنوعات وباعوها بأسعار عالية، وملؤوا روما بما سمّوها «نيكروكورونثيات»[57]، خاصة الآنية الطينية. وفي بادئ الأمر ثمّنوا الأواني الطينية عالياً جدّاً، فكانت على مستوى المصنوعات الكورنثية البرونزية، لكنّ الطلب عليها ما لبث أن تراجع، لأنّ لقى المصنوعات الطينية توقّفت، زد إلى هذا أن أكثرها كان مصنّعاً بشكل رديء. لقد كانت مدينة الكورينثيين دائماً مدينة عظيمة وغنية فعلاً، فكان فيها كثير من رجال الدولة ذوي الخبرة والكفاءة، وكثير من الحرفيين أصحاب المهارات العالية، لأنّ فنّ الرسم والنحت وسواهما من الحرف المشابهة، قد بلغت هنا وفي سيكيون درجة عالية من التقدّم والازدهار. ولم تكن تربة منطقة كورينثوس خصبة[58]، فقد كانت متعرّجة وصخرية، ومن هنا دعوا كورينثوس «بالمتغضّنة» وشاع المثل القائل:

قطّبت كورينثوس حاجبيها وامتلأت
بالترّهات.

24- ودعيت أورنيوس باسمها هذا على اسم النهر الذي يجري على مقربة. والمدينة اليوم مهجورة، مع أنها كانت تعجّ بالسكّان من قبل؛ وكان يقوم هناك معبد مبجّل لبرياب، ولدى يوثرونيوس مؤلّف «البريابيات»[59]، الذي يدعو فيه هذا الإله أورنيوسياً. وتقع أورنيوس فوق سهل السيكيونيين، أمّا البلاد فقد كان يملكها الأرغوليديون. أمّا إريثيريا فهي بلاد تدعى اليوم فلياسيا؛ وعلى مقربة من جبل كيلوسّا تقع مدينة تحمل اسم البلاد عينه؛ وفيما بعد نزح السكّان من هناك وأسّسوا على بعد 30 مرحلة مدينة دعوها فليونت. ويعدّ جبل كارنياس جزءاً من جبل كليوسّا، ومن

الأول ينبع أسوبوس، النهر الذي يجري بالقرب من منطقة سيكيون ويشكّل منطقة أسوبوس التي تشكّل جزءاً من سيكيونيا. وثمّة أسوبوس آخر يجري على مقربة من طيبة، وبلاتيوس، وتاناغرا، وهناك أسوبوس ثالث في هيراقليا التراخينية يجري قرب قرية تدعى باراسوبيا، ويوجد اسوبوس رابع في جزيرة باروس. وتقع فليونت في وسط دائرة تشكّلها منطقة سيكيون، وأرغوليدا، وستيمفالوس. وفي فليونت وسيكيون معبد مبجّل لديا؛ وهو الاسم الذي تدعى به غيبا هنا.

25- في الأزمنة السابقة كانت سيكيون تدعى ميكونا، وقبل ذلك دعيت إيغيالا؛ وكان ديميتري[60] قد بناها من جديد على هضبة حصنتها الطبيعة جيداً، وتقع على بعد 30 مرحلة (بعضهم يقول 12 مرحلة) عن البحر، أمّا القرية القديمة ومرساها، فهما الآن محطة شراعية. ويشكّل نهر نيمييا الحدود بين منطقتيّ سيكيون وكورينثوس. وعلى مدى زمن طويل جدّاً كان الحكم في سيكيون تيرانياً، لكنّ التيران الذين حكموا هنا كانوا أشخاصاً عقلانيين ومتنوّرين؛ وكان أراتوس التيران الأبرز بينهم؛ فقد منح المدينة حريتها[61]، بل وتزعّم الآخيين الذين منحوه السلطة عليهم طوعاً بإرادتهم؛ لقد رسّخ أراتوس الاتحاد الآخي وقوّاه بضمّ مدينته الأمّ وباقي المدن المجاورة إليه. ولكنّ هيبيريسيا والمدن التي تليها، وهي المدن التي يذكرها هوميروس، إضافة إلى إيغياليوس وصولاً إلى ديما والأطراف الإيليية كانت قد باتت للآخيين.

الفصل السابع

1- في الزمن القديم كانت هذه البلاد تحت حكم الإيونيين المنحدّرين من الأثينيين؛ وقد دعيت قديماً إيغياليا، ودعي سكّانها إيغياليين؛ ثمّ حملت بعد ذلك اسم الإيونيين وباتت تدعى إيونيا، وكذلك أتيكا، نسبة إلى إيون ابن كسوثوس. ويقولون، إن هللين كان ابن ديفكاليون وسيّد قبائل تسكن بين بينييوس وأسوبوس؛ وقد منح السلطة عليها لابنه الأكبر، وأرسل الآخرين إلى أماكن شتّى خارج حدود البلاد ليجد كلّ منهم مكاناً يبني فيه مستوطنته. فوحّد ابنه دوروس الدوريين الذين كانوا يسكنون عند بارناس؛ وأسّس ابنه كوثوس الذي تزوّج ابنة أريخثيوس، المدن الأربع في أتيكا: إيونيا، وماراثون، وبروبالينث، وتريكورينثوس. لكنّ أحد أبناء كسوثوس، المدعو آخيوس، ارتكب عن غير قصد، جريمة قتل، فهرب إلى لاكيديمون، وأعطى السكّان المحلّيين اسم الآخيين، أمّا إيون فبعد أن انتصر على التراقيين الذين كانوا تحت سلطة إيفمولبوس، حظي بشهرة واسعة دفعت الأثينيين لكي يعهدوا إليه بإدارة

شؤون بلادهم. وفي بادئ الأمر قسم الشعب إلى أربع قبائل، ثمّ إلى أربع فئات مهنية: فلاحين، وحرفيين، وكهنة، وحراس. وكان في البلاد حينئذٍ فيض سكّاني كبير، الأمر الذي اضطر الأثينيين إلى إرسال مستعمرين إيونيين إلى البيلوبونيز، فدعا هؤلاء البلاد التي استولوا عليها، إيونيا، على اسمهم، بدل اسمها الأصلي إيغيالوس؛ وقد توزّع الوافدون على 12 مدينة وباتوا يدعون إيونيين بدلاً من إيغياليين. ولكنّ الآخيين طردوهم بعد عودة الهيراقليين، فعادوا أدراجهم إلى أثينا؛ ومن هنا أرسلوا مع الكودريدس مستعمرة إيونية إلى آسيا وأسّسوا فيها 12 مدينة على ساحل كاريا وليدا، وانقسموا إلى عدد الأقسام نفسه والمدن نفسها التي شغلوها في البيلوبونيز. ومن حيث المنشأ كان الآخيون ثتيوتيين، لكنّهم عاشوا في لاكيديمون؛ وعندما امتلك الهيراقليون البلاد، حرضهم تيسامين ابن أوريستوس (كما قلت آنفاً)[1] على مهاجمة الإيونيين؛ وإذ ظهر أن الآخيين أقوى من أعدائهم، فقد طردوهم وامتلكوا البلاد؛ وابقوا على التقسيم نفسه الذي وجدوه فيها. لقد كانت قوة الآخيين عظيمة إلى درجة أنهم على الرغم من انفصالهم عن الهيراقليين الذين سادوا على باقي البيلوبونيز، واجهوا الآخرين كلّهم لوحدهم وأعطوا البلاد اسمهم، إذ باتت تدعى آخيا. وعلى هذا النحو بقي هؤلاء تحت حكم الملوك بدءاً من تيسامين حتّى أوجيجيس؛ وبعد ذلك حقّقوا في ظل الحكومة الديمقراطية شهرة ببناء دولتهم بلغت حداً جعل الإيتاليوتيين يقتبسون عنهم، بعد انتفاضتهم ضدّ الفيثاغورسيين، القسم الأكبر من قوانينهم. وبعد معركة ليفكترا[2] عهد إليهم الطيبيون بحلّ النزاعات بين المدن، وفيما بعد، بعد أن دمّر المقدونيون اتحادهم، أعادوا بناءه من جديد رويداً رويداً. فعندما قاد بيروس حملته إلى إيطاليا[3]، عقدت أربع مدن بينها باترا وديما اتحاداً جديداً فيما بينها، ثمّ أخذ هؤلاء يضمّون إلى اتحادهم بعضاً من المدن الاثنتي عشرة ما عدا أولين وهيليكا؛ فالأولى رفضت الاتحاد، والثانية دمّرتها أمواج البحر[4].

2- فنتيجة لهزّة أرضية ارتفع البحر وأغرق هيليكا ومعها معبد بوسيدون الهيليكوني الذي لا يزال الإيونيون يبجلونه حتّى يومنا هذا، ففيه[5] يقدّمون ذبائح إيونية مشتركة. ويظنّ بعضهم إن هوميروس أيضاً يأتي على ذكر هذه الذبائح إذ يقول:

كان يئنّ وهو يسلّم روحه، كالثور الأسود
يجأر في أرجاء مذبح الإله الهيليكوني الجبّار
والشبان يجرونه عنوة.

(الإلياذا XX، 403)

ويستنتجون من هذا أن الشّاعر قد عاش بعد زمن الاستعمار الإيوني، لأنه يذكر الذبيحة الإيونية المشتركة التي كان الإيونيون يقدّمونها تكريماً لبوسيدون الهيليكوني في منطقة البريينسيين؛ فهؤلاء أنفسهم يتحدّرون من هيليكا، على حدّ قول بعضهم؛ وهم فعلاً يختارون «ملكاً» لهذه الذبيحة شاباً من بريينا ليتابع دقّة تأدية الطقوس المقدّسة. وما يؤكّد هذا الزعم أكثر، هو أن الشّاعر يتحدّث عن ثور؛ فالإيونيون يظنّون أن الآيات المناسبة التي تظهر تبعاً لهذه الذبيحة، لا تظهر إلا إذا أطلق الثور المقدّم ذبيحة جئيراً. وينقل الذين لا يوافقون على هذه الفرضية، الرواية التي وردت هنا عن الثور والذبيحة التي تقدّم في هيليكا، وأن الشّاعر اقتبس مقارنته عن الطقوس التي تقام هنا. لقد غرقت هيليكا قبل عامين من وقوع معركة ليفكترا[6]. فإيراتوسفين يقول، إنه رأى هذا المكان بنفسه، وإن النوتية رووا له أن تمثال بوسيدون البرونزي لا يزال قائماً حتّى الآن في المضيق حاملاً بيده هيبوكامبوس[7] الذي يتوعّد الذين يصيدون الأسماك بالشبكات. أمّا هيراقليدس فيقول إن الكارثة وقعت في زمنه ليلاً؛ مع أن المدينة كانت تبعد 12 مرحلة عن البحر، إلا أن الأمواج غمرت هذه المنطقة كلّها ومعها المدينة؛ وأن الألفي شخص الذين أرسلهم الآخيون قد عجزوا عن جمع الجثث؛ وقد قسموا أرض هيليكا بين الجيران. لقد حدث الفيضان الغامر نتيجة لغضب بوسيدون؛ لأنّ الإيونيين الذين طردوا من هيليكا، أرسلوا يتوسلون سكّان هيليكا أن يعيدوا لهم تمثال بوسيدون، أو في أقل تقدير نموذجاً [صورة] للمعبد؛ وعندما رفض الهيليكيون تلبية مطلبهم، أرسل الإيونيون سفراء إلى الاتحاد الآخي؛ ومع أن الاتحاد استجاب لطلب الإيونيين، إلا أن الهيليكيين رفضوا الانصياع. وفي الشتاء الذي تلا حلّت بهم الكارثة المذكورة؛ وفيما بعد أعطى الآخيون نموذج [صورة] المعبد للإيونيين. ويذكر هسيود هيليكا أخرى في تساليا.

3- وعلى مدى 20 عاماً[8] كان للآخيين سكرتير عام واستراتيجيان يجري انتخابهما كلّ عام؛ وكان مجلسهم العام يعقد في مكان واحد (كان يدعى أماريون)، حيث كانوا، كما كان الإيونيون من قبل، يبحثون شؤونهم الاجتماعية؛ ثمّ قرروا فيما بعد أن ينتخبو إستراتيجياً واحداً. وعندما كان الإستراتيج هو أراتوس، انتزع من أنتيغون[9] أكروكورينثوس وضمّ مدينة كورينثوس إلى الاتحاد الآخي، وكذلك مدينته الأم، كما ضمّ الميغاريين؛ وبعد أن يقضي على النظام التيراني في كلّ مدينة، كان أراتوس يجعل من سكّانها المحررين أعضاء في الاتحاد الآخي. كما حرر البيلوبونيز من أنظمة الحكم التيرانية، فانضمّت آرغوس، وهيرميونا، وفليونت، وميغالوبوليس، أكبر من أركاديا، إلى الاتحاد، عندها بلغ الاتحاد قمة جبروته. وقد

كان ذلك في الوقت الذي طرد الرومان فيه القرطاجيين من صقليا[10]. وشنوا حملة على الغلاطيين[11] الذين كانوا يسكنون في حوض نهر باد. ومع أن الاتحاد الآخي بقي راسخاً حتّى إستراتيجيّة فيلوبومين، إلاّ أنه تداعى شيئاً فشيئاً، لأنّ الرومان كانوا قد استولوا عندئذٍ على اليونان كلّها؛ وكان موقف هؤلاء من كلّ دولة مختلفاً: دعموا بعضها ودمّروا أخرى. ثمّ يتحدّث[12] عن سبب عدم شهرة الآخيين الشهرة التي يستحقونها على الرغم من أنهم بلغوا درجة من القوة تفوّقوا بها حتّى على اللاكيديمونيين.

4- لقد توضّعت المناطق التي سكنها الآخيون بعد أن قسموا البلاد إلى 12 قسماً، وفق الترتيب الآتي: أولاً، بعد سيكيون تأتي بيللينا، ثمّ إيجيرا، والمدينة الثالثة هي إيجي؛ والرابعة بورا؛ وبعدها هيليكا، التي لجأ إليها الإيونيون بعد هزيمتهم أمام الآخيين، وقد طردوا من هناك في نهاية المطاف؛ وتأتي بعد هيليكا إيجيوس، وريبا، وباترا، وفارا[13]؛ ثمّ أولين التي يجري على مقربة منها نهر بيروس؛ وهو نهر كبير؛ وأخيراً تأتي ديما وتريتيا[14]. لقد عاش الإيونيون في قرى، بينما بنى الآخيون مدناً؛ وقد ضموا إلى هذه المدن فيما بعد مدناً أخرى نقلوها من مناطق أخرى: إيجي إلى إيجيرا (ومع ذلك كان السكّان يدعون إيجيين)، وأولين إلى ديما، على سبيل المثال. ويرونك آثار مستوطنة الأولينيين القديمة بين باترا وديما؛ ويقع هنا أيضاً معبد أسكليبوس الشهير الذي يبعد عن ديما 40 مرحلة، وعن باترا 80 مرحلة. وتحمل اسم هذه الإيجي نفسه إيجي أخرى تقع في إيبيوس، واسم أولين تحمله قرية تقع في إيثوليا لم يبق منها سوى أطلال. ولم يأت هوميروس على ذكر أولين الآخية، ولا على ذكر كثير من المراكز السكّانية في منطقة إيغيالوس، مع أنه يتحدّث عنها بمعنى ما أكثر شمولاً:

على طول إيغيالوس ومحيط هيليكا الشاسع

(الإلياذا II، 575)

ولكنّه يذكر أولين الإيثولية عندما يقول:

زمرة من الرجال المقاتلين الذين يسكنون في بليفرون وأولين...

(الإلياذا II، 639)

ويتحدّث عن هذه الإيجي وتلك؛ عن إيجي الآخية:

أولئك الذين في إيجي وفي هيليكا، كم من الأضاحي
والتقدمات التي تفرح قلبك قدّموا إليك.

(الإلياذا VIII، 203)

أمّا عندما يقول:

... بلغ أطراف إيجي؛

هناك في الخليج العميق، مسكن بوسيدون

(الإلياذا XIII، 21)

هناك ربط خيوله مزلزل الأرض، بوسيدون،

(الإلياذا XIII، 34)

فإنه من الأفضل أن نفهم بهذا إيجي التي في إيبيوس، وهي على أغلب الظنّ إيجي التي أعطت بحر إيجي اسمه: مع هذه المنطقة وافق الشّاعر نشاط بوسيدون في حرب طروادا، وبالقرب من إيجي الآخية يجري نهر كراثيس: بعد أن يجمّ مياه نهرين، يحمل النهر اسمه الذي اشتق من كلمة kirnasthai[15]؛ ومن هنا جاء اسم كرثيدس في إيطاليا.

5- لقد كان كلّ قسم من أقسام آخيا الاثني عشر يتألف من 7 أو 8 مشاعات؛ فقد كان عدد سكّان البلاد كبيراً إلى هذا الحدّ. وتقع بيللينا فوق البحر بـ 60 مرحلة، وتعدّ قلعة حصينة. وهناك مستوطنة أخرى تدعى بيللينا اشتهرت بصناعة الأردية البيللينة التي كانت تقدّم مكافآت في المباريات؛ وتقع هذه بين إيجيوس وبيللينا. وتختلف عن هاتين بيللينا أخرى، وهي مكان لاكونيّ تتّجه حدوده باتجاه منطقة ميغالوبوليس تقريباً. وتقع إيجيرا فوق تل. أمّا بورا التي ابتلعتها الأرض إثر هزّة أرضية، فهي تقع فوق البحر بحوالي 40 مرحلة؛ ويقولون، إن نهراً في إيطاليا قد أخذ اسمه من نبع سيباريس الذي يجري في هذه المدينة. وإيجا (لأن إيجي تحمل هذا الاسم أيضاً) الآن مدينة مهجورة غير مأهولة يملكها الإيجيون. أمّا إيجيوس فهي على الضدّ، ففيها عدد كبيراً من السكّان. ويروى أن العنزة أرضعت حليبها زيوس هنا، كما يقول أراتوس:

حليباً تقول الرواية، أرضعت العنزة المقدّسة زيوس.

(الظاهرات، 163)

ثم يضيف إن

متنبّئي زيوس يدعون تلك العنزة أولينية،

(الظاهرات 164)

مشيرين بوضوح إلى أن هذا المكان يقع بالقرب من أولينا. وتقع هنا أيضاً كيرينيا[16]، الواقعة على جرف صخري عال. وهذه الأماكن هي للإيجيين، مثلها مثل هيليكا وأماريوس: دغل زيوس الذي يجتمع فيه الآخيون لبحث شؤونهم العامّة. ويجري عبر منطقة الإيجيين نهر سيلينونت؛ والاسم نفسه يحمله نهر آخر يجري في أفسس قرب

أرطميسيوس، وكذلك نهر في إيليدا الحالية يجري قرب مكان اشتراه كسينوفونت لأرطميس تلبية لإرادة الكاهن المتنبّئ، على حدّ قوله[17]. وهناك سيلينونت آخر؛ وهو يجري على مقربة من منطقة الميغاريين الجيبلائيين الذين طردهم القرطاجيون. أمّا باقي مدن الآخيين أو أجزاء منطقتهم، فإن إحداهما- ريبا- غير مأهولة، واستولى الإيجيون وسكّان فارا على الأراضي التي تدعى ريبيدا. ويقول إيسخيليوس في مكان ما:

بورا المقدّسة وريبا التي أحرقتها الصاعقة.

(مقطع 403، ناؤوك)

ومن ريبا يتحدر ميسكيلوس، مؤسّس كروتون. وليفكترون- ديموس ريبا- كانت في أراضي منطقة ريبيدا. وتأتي باترا بعد ريبا، وهي مدينة مهمّة، وتقع بينهما رأس ريون البحرية (وكذلك أنتيريون)، على بعد 40 مرحلة من باترا. ومنذ بعض الوقت؛ بعد الانتصار في أكسيوم[18]، أسكن الرومان عدداً كبيراً من جنود جيشهم في باترا؛ وهذه المدينة التي تعدّ الآن مستعمرة رومانية، تتوفّر على عدد كبير جدّاً من السكّان؛ وميناؤها في أحسن حال. تلي ذلك ديما، وهي مدينة من غير ميناء تقع بعد المدن كلّها نحو الغرب؛ ومن هنا أخذت المدينة اسمها[19]. فقد كانت تدعى في الأزمنة السابقة ستراتوس. وعند بوبراس يفصل هذه المدينة عن إيليدا نهر لاريس الذي يجري من الجبل. ويدعو بعض الكتّاب هذا الجبل باسم سكوليوس، بينما يدعوه هوميروس بالصخرة الأولينية. وعندما يدعو أنتيماخ ديما «بالكافكونية»، فإن بعضهم يرى أن كلمة «كافكونية»، صفة مشتقة من الكافكونيين، لأنّ هؤلاء الأخيرين انتشروا كما أشرت سابقاً، حتّى ديما مباشرة، بينما يشتقّها الآخرون من نهر كافكون، على النحو الذي يدعون فيه طيبة «بالديركية» و«الأسوبية»، وآرغوس «بالإيناخية، وطروادا «بالسيمونتية». وقبل قليل من وقتنا الراهن، وفدت إلى ديما جماعة من المستعمرين هي خليط من الناجين من حشود القراصنة الذين شتت بومبيوس شملهم وقضى على حركتهم[20]، وأسكن فريقاً منهم في سولا في كيليكيا، والفريق الآخر في أماكن مختلفة، خاصة في ديما. وتقع فارا على الحدود مع ديما. وقد دعي سكّان هذه الفارا فاريين، ودعي سكّان فارا الميسينية فارياتيين؛ ويقع في أراضي فارا نبع ديركا، وهو الاسم عينه الذي يحمله نبع في طيبة. أمّا أولين فإنها مدينة مهجورة، وهي تقع بين باترا وديما، لكنّ سكّان ديما يمتلكون أراضيها. ثمّ تأتي بعد ذلك أراكس، وهي رأس بحرية في إيليدا على بعد 1030 مرحلة من إيستم.

الفصل الثامن

1- تقع أركاديا في وسط البيلوبونيز؛ والشطر الأكبر من الأرض التي تشغلها جبلي. وأعلى جبال أركاديا، هو جبل كيللينا، وفي أي حال فإن بعضهم يزعم أن ارتفاعه العمودي يبلغ 20 مرحلة، بينما يرى آخرون أنه يقارب 15 مرحلة. والقبائل الأركادية، هي الآزانيون، والباراسيون وغيرهم، وهي على أغلب الظنّ أقدم قبائل الإغريق كلّها. ولكنّ خلو البلاد التام يجعل الحديث عنها بالتفصيل أمراً لا جدوى منه، فالمدن التي كانت ذائعة الصيت، خربتها الحروب المتواصلة، والفلاحون الذين كانوا يحرثون الأرض اختفوا منذ أن اتحد أكثر المدن فيما عرف «بالمدينة الكبرى»[1]. وحتّى هذه الأخيرة حل بها الآن المصير الذي وصفه الشّاعر الكوميدي بقوله:

المدينة الكبرى باتت الآن صحراء كبرى وحسب[2].

وتوجد هنا مراع شاسعة تسرح فيها القطعان، خاصة الخيول والحمير المنتجة. والخيول الأركادية مثلها مثل الأرغوليدية، والإيبيدافرية، هي الأفضل. ومثلها أيضاً الأراضي الإيتولية والأركادية الخالية، فهي ملائمة جداً لتربية الخيول، ليس أقل من أراضي تساليا.

2- لقد اشتهرت مانتينيا بفضل إيبامينوندس الذي انتصر على اللاكيديمونيين في الموقعة الثانية[3]، التي سقط فيها قتيلاً. ولكنّ مانتينيا نفسها، وأوركومين، وهيريا، وكليتور، وثينيوس، وستيمفالوس، ومينالوس، وميثيدروس، وكافيوس، ولينيثوس، لم يعد لها وجود الآن، أو لم يبق منها سوى آثار أو معالم مبهمة. أمّا تيجييا فقد سلمت كاملة؛ وبقي أيضاً معبد أثينا الأليادية؛ ومعبد زيوس الليكي الواقع على مقربة من جبل ليكييوس، ولا يزال يحظى ببعض التبجيل أيضاً. لكنّ ثلاث مدن يذكرها هوميروس:

في ريبا، وستراتيا كان الرجال يقطنون،
وفي إينيسبا الصاخبة،

(الإلياذا II، 606)

يصعب العثور عليها، ولن تفيد من يقع عليها في شيء لأنها غير مأهولة.

3- بالإضافة إلى كيللينا اشتهر أيضاً فولويا، وليكييوس، ومينال، وبارثينيوس الذي يمتدّ من منطقة تيجيا حتّى منطقة آرغوس.

4- وأنا كنت قد أشرت[4] إلى السمات الفريدة التي يتمتّع بها ألثييوس وإيفروت، وإراسين الذي يجري الآن تحت الأرض من بحيرة ستيمفالوس[5] إلى أرغوليدا، مع أنه لم يكن له سابقاً مخرج، لأنّ الهاويات التي يدعوها الأركاديون

Zerethra، كانت مغلقة ولم تسمح بانبجاس المياه، ولهذا فإن مدينة الستيمفاليين تقع الآن على بعد 50[6] مرحلة عن البحيرة، مع أنها كانت تقع سابقاً على البحيرة مباشرة. وعرف لادون ظاهرة معاكسة، فقد توقف جريانه في زمن ما بسبب تراكم الأوحال في منابعه؛ لأنّ «مهاوي»[7] ثينيوس التي كان يجري عبرها، انهارت بفعل هزّة أرضية وسدت مجراه حتّى العروق الجوفية العميقة التي تغذي منابعه. وهذا ما يقوله بعض الكتّاب. أمّا إيراتوسفين فيقول، إن نهر آنيوس يشكّل على مقربة من ثينيوس بحيرة أمام المدينة ويغور في قنوات جوفية صناعية تدعى Zerethra، وعندما تمتلئ هذه بالقاذورات، تغمر المياه الحقول أحياناً، وعندما تغدو سالكة من جديد، تسرع المياه عائدة من الحقول إلى مجرى لادون ومجرى ألثيوس، فمرة كانت الأرض قرب المعبد في أوليمبيا مغمورة بالمياه، بينما نقص منسوب الماء في البحيرة؛ أمّا إراسين الذي يجري بالقرب من ستيمفالوس، فإنه يغور تحت الأرض ويجري تحت الجبل[8] ثمّ يظهر من جديد في أرغوليدا؛ ولهذا فإن إيثيكراتيس عندما فشل في حصار ستيمفالوس، حاول أن يغلق فتحة خروج النهر، وقد استعد لذلك بجمع كمية كبيرة من الإسفنج، لكنّه تراجع عن عزمه هذا بعد آية سماوية أظهرها له زيوس. وتوجد على مقربة من ثينيوس مياه تسمى «مياه ستيكس»، وهو جدول صغير مياهه مميتة، ويعد الجدول مقدّساً.

إن هذا هو كلّ ما ينبغي قوله عن أركاديا.

5- لقد حدّد بوليبيوس المسافة من ماليوس نحو الشمال حتّى إيستر، بما يقارب 10.000 مرحلة؛ ولكنّ أرتيميدور يدقق حسابه هذا على النحو الموافق، ويزعم أن الطريق من ماليوس إلى إيجيوس تشكّل 1400 مرحلة، والإبحار من هنا إلى كيرا 200 مرحلة؛ والطريق من هنا عبر هيراقليا حتّى ثاوماكي تشكّل 500 مرحلة، وإلى لاريسا وبينيوس 240 مرحلة؛ وإلى تسالونيكيا 660 مرحلة؛ ومن هنا عبر إيدومينا، وستوبا، وداردانيا حتّى إيستر 3200 مرحلة. وحسب أرتيميدور أن المسافة من إيستر إلى ماليوس 6540 مرحلة. ويكمن سبب الخطأ[9] هنا في أنه لم يورد قياس امتداد أقصر طريق، بل اختار طريقاً عشوائية قطعها أحد القادة العسكريين. وربّما يكون من الملائم أن نورد هنا أسماء مؤسّسي المدن التي كانت موجودة بعد عودة الهيراقليين إلى البيلوبونيز، والذين ذكرهم إيثور: أليتوس مؤسّس كورينثوس، وثالكوس مؤسّس سيكيون، وتيسامين مؤسس آخيا، وأوكسيل مؤسس إيليدا، وكريسفونت مؤسّس ميسينا، وإيفريسفين وبروكليس مؤسسا لاكيديمون، وتيمينوس وكيسوس مؤسّسا آرغوس، وإيجيوس وديفونت اللذان أسّسا مدناً قرب أكتا.